الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة مولود معمري بتيزي وزو
كلية الآداب و العلوم الإنسانية
قسم الأدب العربي

التخصص : اللغة و الأدب العربي
الفرع : نقد و بلاغة

الموضوع :

إظهار صدق المودة في شرح البردة
لأبي عبد الله بن مرزوق الحفيد التلمساني
- دراسة و تحقيق -

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير

إعداد الطالب :
محمد فلاق

إشراف الأستاذ الدكتور :
مصطفى درواش

السنة الجامعية : 2009 / 2010



بسم الله الرحمن الرحيم

عطرُ الورود سَرى فجرا مع النسمِ … من المدينة مجتازا إلى الحرمِ

و لامستْ نفحاتٌ منه زاكية … شغافَ قلبي وروحي فانتفى سَقَمِي

و أضرمتْ لفحاتٌ منه دافئة … سواكبَ الدمعِ بِهَمي قَطْرُها بدمي

زاد اشتياقي لحِبِّي حين فارقني … و زادني بُعده حزنا على ألمِي

مهلا عَذولي فلو تدري ستعذر من … عذلتَ قَبْلي بعذري فاستمعْ كَلِمِي

ذقِ المحبة و اشربْها مُعَتَّقة … و اخْبَرْ حلاوتَها بالصدق و التزمِ

تجدْ بأنك قد أنكرتَ منكرها … أكانَ لامَكَ أم قد كان لم يَلُمِ

هذا لساني جرى بالشعر حَرَّكَهُ … شوقي لمَنْ مدحُه في نونَ و القلمِ

محمَّدٍ سيّدِ الأكوانِ مُفردِها … و كامل الخَلْقِ و الأخلاقِ و الرُّحُمِ

لحضرةِ المصطفى أهْدِي مذكّرتي … لعلّ يَقْبَلها ذو اللطفِ و الكرمِ

و والديّ و أستاذي و عائلتي … و كلِّ صحْبِي و أحبابي على قَسَمِ

حَمْداً إلهي لِمَا أَوْلَيْتَنِي كرَماً … مَالستُ أحصي مِنَ الخيْراتِ وَالنِّعَمِ

يا ربِّ صلِّ على خيرِ الوجود بما … جَعَلتَ ربّي له فضلا على الأمَمِ

محمد

مُقَدِّمَة

تعود معرفتي لابن مرزوق الحفيد التلمساني إلى قراءة نبذة عن حياته و علمه ضمن كتاب "تاريخ الجزائر العام" للشيخ المؤرخ عبد الرحمن الجيلالي . و صادف أيام انشغالي بالبحث و التفكير عن موضوع مذكرة التخرج أني كنت أقرأ كتابا محققا لشرح أحد أشهر الموشحات الأندلسية "هل درى ظبي الحمى" للإفراني ، و قد فوجئت بالمحقق محمد العمري يقف طويلا في دراسة هذا الكتاب مع شخص ابن مرزوق مبينا تأثر الإفراني به ، بل و باسطا جزءا من مقدمة ابن مرزوق في كتابه المخطوط "إظهار صدق المودة في شرح البردة" ، و هنا توقفت مع نفسي لحظات أفكر في تحقيقه و دراسته و قلت " لعله هو .. لا .. بل إنه هو" .

ثم إن المكتبة المغاربية عموما و الجزائرية خصوصا تفتقر إلى هذا الصنف من المباحث ، التي تقوم على تحقيق الكتب التراثية ، بغية دراسة ما تحمله من مضامين و قيم علمية ، و تظل بعيدة عن العدد الهائل لتحقيقات المخطوطات في بلاد المشرق .
و بالإضافة إلى هذا الإفتقار ، فإن الملاحظ هو قلة البحوت الأكاديمية التي تختص في تحقيق المخطوطات ، تعلق الأمر بمذكرات الماجستير أو رسائل دكتوراه .

و رأيت أنه من الأجدر أن يكون الإشتغال بالتراث لإحيائه و امتلاكه من أوّل الإهتمامات في المجال النقدي . فالتحقيق واحد من أهم مراتب الممارسة النقدية ، التي يمكن بفضلها الكشف عن الخبيء من الآراء و الأحكام النقدية ، و تقديم إضافة إلى التراث النقدي العربي . فلي قناعة أن فيه من النفائس ما لا يزال حبيس المكتبات معَرّضا لأسباب التلف و الضياع ، ينتظر من يَنْفُض عنه غبار النسيان و يُعِيده إلى التداول من جديد .

يشرح ابن مرزوق في هذا الكتاب المخطوط نصا شعريا يتمثّل في قصيدة البردة للبوصيري ، و اتبع طريقة في الشرح حاول أن يكشف بها كيفيات تحقق الكلام العالي نسعى من خلال هذا البحث لاستقصاء تفاصيلها .

فما التصور المنهجي الذي يتجلى من خلال الكتاب ؟

و ما معايير التذوق الفني التي اعتمدها ابن مرزوق في شرحه ؟

و ما الأسس التي كان يحكم من خلالها على جمالية تعابير النص و معانيه ؟

و ما موقف و موقع ابن مرزوق و كتابه "إظهار صدق المودة" على مستوى الخطاب النقدي و البلاغي في التراث ؟

إن الإجابة عن أسئلة هذه الإشكالية تكون بتحقيق الكتاب و دراسة مضمونه من جانبي المادة و المنهج ، و بالمقارنة كذلك بينه و بين المؤلفات المجانسة له في عصره و في عصور مقاربة له ، سبقته .

قسمت هذا البحث كما هو متعارف عليه قسمين : يضم الأول دراسة الكتاب و الثاني يخصص للكتاب المحقق . و كان أول قسم الدراسة تعريفا بالمؤلف و سيرته الذاتية ، بنسبه و حياته و ثقافته و علمه و مؤلفاته ، تلاها تعريف بالكتاب و تقديمه من حيث تحقيق عنوانه و نسبته لمؤلفه ، و عرض ملابسات التأليف و دوافعه ، و سرد لمضمون مقدمة المؤلف .

أما الجزء الأهم من الدراسة فكان بغرض تقديم القيمة العلمية للكتاب ، حيث تعرضت فيها لأهميته و منهج ابن مرزوق في شرح النصوص الشعرية ، مع تبيين تصوره النقدي حول تلقي جمالية النص الشعري ، و موقفه من التراث النقدي و البلاغي و مدى تأثير نهجه الشرحي في من جاء بعده ، ليكون آخر هذه الدراسة عرض قضايا نقدية و بلاغية ضمّنها ابن مرزوق كتابه ، مع وصف نسخ المخطوط المعتمدة في التحقيق.

في آخر الكتاب المحقق قمت بصنع فهارس تساعد على الوصول إلى مادته ، أولها فهرس أبيات النص المشروح و الفهرس التفصيلي لمستويات الشرح لكونها العناوين، التي تُشَكِّل أقسام الكتاب ، و أردفت بعقبهما فهرسا للمصطلحات النقدية و البلاغية الواردة في الشرح ، وهي المصطلحات الفنية التي تثبت الصنف الذي ينتمي إليه الكتاب ، مع إحصاء الكتب المذكورة في ثنايا الشرح ، ليكون بعدها فهارس الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية و الأشعار و الأمثال المستشهد بها فيه ، مع فهرس المواضع و البلدان و فهرس الأعلام .

و لما كان تحقيق المخطوط القسم الهام في هذا العمل ، عكفت أولا على دراسة أصول التحقيق و تقنياته ، متخذا كتاب "تحقيق النصوص و نشرها" لعبد السلام هارون عمدة المراجع في ذلك ، فتقيدت بما يشرحه من خطوات علمية لإخراج الكتاب المخطوط على الصورة التي تركها مؤلفه أو أرادها .

كما اطّلعت – عملا بنصيحة أستاذي المشرف – على كتب محققة ، و على رسائل جامعية منجزة في تخصص تحقيق المخطوطات بكلية الآداب بجامعة الجزائر . كل ذلك لتحصيل القدر اللازم من الوعي بأصول التحقيق والإحاطة بها . إن عملية التحقيق تستدعي التقيد المنظم و الدقيق بالخطوات العلمية و المنهجية المحددة في المؤلفات العلمية التي عُــني فيها أصحابها بهذا المجال المعرفي .

صادفتني في مراحل سير البحث مثبطات عدة ، أكثرها صعوبة جمع نسخ المخطوط ، و الوصول إلى أكبر عدد منها ، لا سيما ما يتطلبه ذلك من تكاليف مادية لم أقــوَ عليها ، إضافة إلى ضرورة السفر خارج الوطن لجلب هذه النسخ في الأغلب و هو ما لم يتيسر لي ، فاكتفيت مضطرا بما وجدته في المكتبة الوطنية الجزائرية .

لا يسعني في الأخير إلا أن أشكر كل الذين مدّوا لي يد المساعدة في إنجاز هذه المذكرة ، و على رأسهم أستاذي المشرف دكتور مصطفى درواش . له جزيل الشكر والإمتــنان على رعايته هذا العمل .

كما أصل الشكر للأستاذ محمد جنوحات و الأستاذة بن يحي فطومة في المكتبة الوطنية الجزائرية على ما قدماه لي من تسهيلات ، كما لا أنسى الأستاذة الجوهر مودر و كل الأساتذة الذين كان لي الحظ في التحصيل العلمي منهم و بخاصة أساتذة السنة التحضيرية شعبة نقد و بلاغة ، بارك الله فيهم جميعا .

الطالب : محمد فلاق

القسم الأول

الدراســــــة

القسم الأول

الدراســـــــة

الدراســـــــة

- نسخ المخطوط المعتمدة و منهج التحقـــيق
- سيرة ابن مرزوق الذاتية
- التعريف بالكتاب
- القيمة العلمية للكتاب – دراسة المضمون
- خاتمة

نسخ المخطوط المعتمدة

و منـهج التـحقيق

1- نسخ المخطوط المعتمدة

2- وصف النسخ

3- منـهج التحقيق

4- نماذج من النسخ المعتمدة

1- نسخ المخطوط المعتمدة :

عرف كتاب ابن مرزوق " إظهار صدق المودة في شرح البردة " قبولا بين أقرانه من العلماء ، ناهيك عن تلاميذه و عامة الناس ، فأثار ذلك القبول و الإعجاب اهتماما تجسد في شيوع الكتاب في بلدان مختلفة ، تدلنا على ذلك كثرة نسخه التي تحفل بها مكتبات عدة ، فلا تكاد تخلو مكتبة وطنية في البلدان العربية و بعض الدول الأوربية من نسخ لهذا الكتاب ، في الجزائر و تونس و المغرب و السعودية و الكويت و الإمارات و فرنسا حسبما قرأته في الفهارس المنشورة في الأنترنيت .
وعلى الرغم من كثرة هذه النسخ إلا أنني لم أصل إلا لأقل القليل منها ، فقمت بالتحقيق اعتمادا على نسختين جزائريتين و أوراق يسيرة من نسخة مغربية ، بينما تعذّر عليّ أكثر من ذلك لأسباب يصعب التغلب عليها على طالب علم في أول الطريق في تجربته مع البحث العلمي عموما و تحقيق المخطوطات على وجه أخص .

أما النسختان الجزائريتان فهما من المكتبة الوطنية الجزائرية ، أولهما المخطوط ذو الرقم (ح 18) رمزت له بالحرف (أ) ، و ثانيهما المخطوط ذو الرقم (ح 2) رمزت له بالحرف (ب) . و أما الجزء المعتمد من النسخة المغربية فرمزه (ز) ، و هو مصوَّر عن نسخة المكتبة الزيدانية ، لم أحصل منها إلا على أوراق يسيرة يخص بعضها أول المخطوط و بعضها آخره ، دون أن يمنع هذا أنني استفدت منها في إتمام مقدمة الكتاب و خاتمته. فالنسختان السابقتان تنقص كلتيهما ورقة من الأول و ورقة من الأخير .

بعد المقارنة بين النسختين (أ) و (ب) ، اخترت أن تكون النسخة (أ) هي النسخة الأصل . إنها الأحسن من حيث السلامة من النقص و السقط ، يضاف إلى ذلك أنها نسخة مُقَابَلَة مُصَحَّحة ، يدل على هذا وجود الرمز المتعارف عليه عند النسّاخ قديما في التدليل على معارضة نسخة بأخرى و المقارنة بينهما . و هو كما ذكره هارون عبد السلام دائرة ترسم في مواضع مختلفة على امتداد صفحات المخطوط من أولها إلى آخرها ، ثم يقوم ناسخها أو قارئها على الشيخ أو معارضها بالنسخ الأخرى، بوضع نقطة داخل هذه

الدائرة ، ليدل بذلك على أنه قد انتهى في تصحيحه و مراجعته إلى الموضع الذي فيه هذا الرمز [1] . و هو بهذا بالشكل: ⊙ .

2- وصف النــسخ :

أ- النسخة الأصل (أ) :

عدد أوراقها ثلاثمائة و واحد ، مبتورة بورقة من الأول و ورقة من الأخير . تحوي تسعة و عشرين سطرا في كل صفحة منها . متوسط الكلمات في كل سطر ثلاثة عــشرة. تــاريخ نسخها مجهول . خطها نسخي واضح على نمط واحد من أول المخطــوط إلــى آخره . كتبت بمداد أسود . يضع ناسخها العناوين باللون الأحمر ، و يصحح مــا أخطــأ فيه أو فاته في الهامش مع كتابة كلمة (صح) ، و يكتب أبيات الشعر في سطور مستقلة مميزة بنقطة في أول البيت و آخره باللون الأحمر . و هي نسخة مُقَابَلَة جيدة المراجعــة والتصحيح ، غير أن ترتيب بعض أوراقها مختل ، لكن لم يكن ذلك عائقــا ، بــل سَــهُل تصويب ترتيبها لاعتماد الناسخ نظام التعقيبية أسفل كل صفحة . تتخلل هذه النــسخة فــي بعض الأوراق تعليقات في الهامش بخط مغاير لخط الناسخ ، و فــي بعــض التعليقــات مقارنة بين شرح ابن مرزوق و شرح خالد الأزهري للبردة .

ب- النسخة (ب) :

عــدد أوراقها أربعمائة و ستون ورقة . مبتــورة بورقة من الأول و ورقــة مــن الأخير . في كل صفحة خمسة و عشرون سطرا . يضم كل سطر على الأغلــب عــشر كلمات . يجهل تاريخ نسخها أيضا . و هي بخط مغاربي بسيط واضح، يتغير من منتصف المخطوط إلى آخره بخط مغاربي متوسط الحجم أكــثر زخرفة . و كتبت هــذه النــسخة كسابقتها بمداد أسود ، و العناوين باللون الأحمر . و يستدرك الناسخ ما فــاته في الهامش بكلمة (صح) ، و يكتب أبيات الشعر في سطور مستقلة .

1- عبد السلام هارون : تحقيق النصوص و نشرها ، مكتبة الخانجي ، ط 7 ، القاهرة 1998 ، ص 85 .

ج- النسخة (ز) :

مصوَّرة عن نسخة المكتبة الزيدانية . تاريخ نسخها عام 1324 هـ . ناسخها هو محمد بن الحسين البوعمراني المراكشي . تحوي كل صفحة فيها واحدا و عشرين سطرا معدل كلمات السطر الواحد عشر ، مكتوبة بخط مغاربي ضيق .

3- منهج التحقيق :

بعد جمع النسخ ، انصب جهدي على قراءتها قراءة متأنية للتعرف على خطوطها أكثر و التعود عليها و فهم رموزها ، ثم عمدت إلى كتابة النص مثبتا نص النسخة (أ) أصلا ، و لم أتدخل فيه بالزيادة أو التغيير، إلا بإثبات ما سقط منها و كان المعنى لا يتم إلا به . و جعلت هذه الزيادة بين حاصرتين [ ] مع الإشارة إليها في الهامش . أما ما سقط من (أ) و استدرك في الهامش أو سقط من الأخرى، فجعلته بين قوسين ( ) و بيّنت ما بين (أ) و النسخ الأخرى من فروق أحلت عليها في الهامش ، و ظهرت بعد مقابلة النسخ و المقارنة بينها مع التدقيق في مراجعتها و فحصها ، كما جعلت ما قمت فيه بتقدير الكلمات المطموسة ما بين حاصرتين أيضا ، ليكون القارئ على علم بذلك .

ضبطت نصوص الآيات القرآنية و ذكرت سورها و أرقامها ، و خرّجت الأحاديث النبوية ، و نسبت ما ترك المؤلف نسبته من شعر لقائله ، إلا قليلا مما لم أجده في المصادر المتاحة أو مما كان قائله مجهولا ، و خرجت الأمثال ، و أعددت فهارس فنية تسهل الوصول إلى مادة الكتاب .

و بالجملة فالرموز المعتمدة في التحقيق هي كالتالي :

- النسخة الأصل : مخطوط المكتبة الوطنية الجزائرية (ح 18) .... (أ)
- مخطوط المكتبة الوطنية الجزائرية (ح 2) .... (ب)
- جزء مخطوط المكتبة الزيدانية بالمغرب .... (ز)
- وجه ورقة مخطوط النسخة الأصل مع رقم الورقة .... **[و...]**
- ظهر ورقة المخطوط مع رقم الورقة .... **[ظ...]**
- نهاية صفحة المخطوط و بداية صفحة .... **... / ...**
- الزيادات المثبتة من النسختين (ب) و (ز) الساقطة من (أ) .... [ ]
- ما سقط من متن (أ) و استدرك في هامشها أو ما سقط من (ب) أو (ز) .... ( )

4- نماذج من النسخ المعتمدة :



أنموذج من النسخة (أ) : الصفحة الأولى



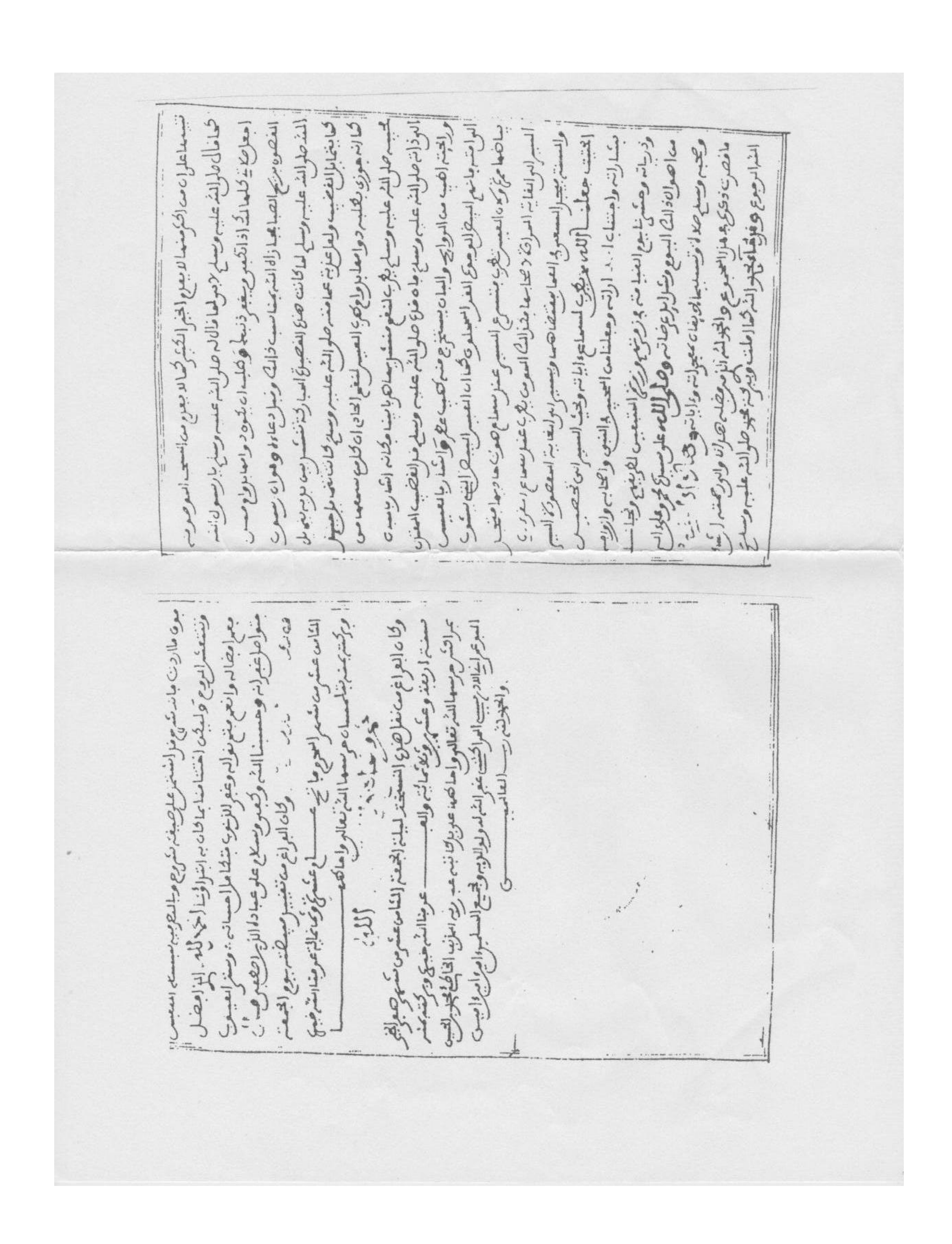
أنموذج من النسخة (أ) : الصفحة الأخيرة


كان وبعده ما نبيا ولما جعل الله جل جلاله حصول طاعته مقرونا بطاعته
والاتصاف بمحبته مشروطا باتباعه ومحبته وامرنا بنصره وتعزيزه وكلفنا
بتعظيمه وتوقيره لزمنا لذلك ولما له علينا من النعم التي لا تتناهى ان نصرف
همتنا لما كلفنا من ذلك فيه ليبلغ من الامال منتهاها وكان
من هذه الامة من كملت نعمة الله عليه في ذلك فقام في اظهار ملته
ببذل نفسه واهله وماله وسلك انهج المسالك ومنهم من حظه
من ذلك القيام بحفظ احاديثه وسننه على امته ومنهم من
دابه الذب عنها والحماية من اراد ادخال الداخل في شريعته ومنهم من
قصر عن تلك المقامات فاقتصر على مدحه صلى الله عليه وسلم بذكر
بعض البعض مما اشتمل عليه من حميد الصفات كل بقدر وسعه وطاقته
لينفق ذو سعة من سعته والكل على نهج قويم وطريق مستقيم وتامل
ان شاء الله الحظ الاوفى من فضل الله العظيم وكان ممن قام في هذا المقام الرابع
وهو الحد الضروري الشيخ الامام العفيف الفقيه العارف المتفنن الاديب
الناظم شرف الدين ابو عبد الله محمد بن سعيد بن حماد المصري البوصيري
بمدح خير العالمين وسيد المرسلين بقصيدة اظهرت صدق محبته فيه
صلى الله عليه وسلم ووده وكسته حلة البهاء فسماها البردة ورفعت
منه صلى الله عليه وسلم الموقع التام واعتنا اعتنا الظهر له من اجله في
المنام واسعفه في المطلب الذي اعيى تحصيله جميع الانام وبعده ما يرجوا
في الاخرة من الفوز بدار السلام وتعلق من بعده بهذا الفضل العظيم
وليس لي من البضاعة ما احصل به منها ما اليه النفس تتوق ولم اصل الى التلذذ
بمعنى ما فيها الا بالنظر ولم انقلب عن نيل ادراك ما انويه من ذلك
الا بالعي والحصر حتى دعاني بعض اخواني من الاصحاب الى التكلم على ما فيه من الفصاحة
من الباب البديع والاعراب واجبته الى ذلك ووضعت فيه
مجموعا سميته بالاستيعاب يوقع من الاخوان لعظيم
التعظيم والتبجيل باستدعوا مني ان اضم الى ذلك

أنموذج من النسخة (ب) : الصفحة الأولى



أنموذج من النسخة (ب) : الصفحة الأخيرة



أنموذج من النسخة (ز) : الصفحتان الأخيرتان

سيرة ابن مرزوق الذاتيـة

1- نـــسبه

2- حيـــاته

3- ثقـــافته و عـــلمه

4- مؤلفـــاته

1- نسبه :

هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكـر بن مرزوق العجيسي التلمساني المعروف بالحفيد ، و هو لقب لتمييزه من جده المعـروف بابن مرزوق الخطيب . إن بيت ابن مرزوق " كان ممن اشتهر بالعلم و الرئاسة و الفضل من بيوتات الجزائر و أعيانها "[1] . و قال المقري في ترجمة ابن مرزوق الجـد: " هـو بيت علم و ولاية و صلاح لعمه و جده و أبيه و جد أبيه، و لولديه محمد و أحمد و حفيده عـالم الدنيـا البحر أبي عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق ، و ولد حفيـده المعـروف بالكفيف ، و حفيد حفيده المعروف بالخطيب "[2] . و عجيسة التي ينسب إليها ، قبيلة قرب المسيلة يعود إليها أصل أسـرة ابن مرزوق ، التي ارتحلت عنها مع الشيخ أبـي مـدين شعيب التلمساني أواخر القرن السادس للهجرة . فلما استقرت في تلمسان صارت تنـسب إليها[3] .

2- حياته :

ولد ابن مرزوق الحفيد كما يذكر في كتابه شرح البردة ، ليلة الإثنـين 14 ربيـع الأول 766 هـ الموافق 8 ديسمبر 1364م بتلمسان ، و نشأ في وسط معرفي يرغب في طلب العلم و محبته ، فحفظ القرآن الكريم و درس على أبيه و عمـه و بعـض شـيوخ تلمسان ، ثم انتقل إلى فاس و بعدها إلى تونس يأخذ عن الشيوخ حيثما حل ، و توجه مـع شيخه ابن عرفة إلى الحج و لم يطل به المقام بعد عـودته إلى تلمسان حتى ارتحل إلـى فاس مرة أخرى طلبا لتحصيل العلم ، و منها شد الرحال إلى المشرق فالتقى بعـدد مـن ذوي الفضل و المكانة العلمية و أخذ عنهم .

لا زال ابن مرزوق بعدها في حل و ترحال بين تلمسان و بلـدان المـشرق و المغـرب يلـتقي علماءها و فضلاءها ، فاكتسب من العلوم و المعارف ، و أجـازه في فنون كثيرة علماء المغرب و المشرق و الأندلـس ، حتى صار يعرف بعالم الدنيا و حجة الإسـلام .

---

1 – عبد الرحمن الجيلالي : تاريخ الجزائر العام ، ج2 ، دار الحياة ، بيروت 1965 ، ص 210 .

2 – أحمد بن محمد المقري : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب و ذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، ج7، دار الكتب العلمية ، بيروت 1995 ، ص 395 .

3 – ينظر : عبد الرحمن الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام، ج2 ، ص 115 .

و سواها من الأوصاف و الألقاب ، و تتلمذ عليه عديد ممن صاروا بعد ذلك أئمة في علوم مختلفة .
كانت وفاته بتلمسان يوم الخميس 14 شعبان سنة 842 هـ الموافق 30 جانفي 1439م و دفن بها في جنازة مهيبة ، حضرها السلطان و كبار رجال الدولة و العلماء[1] ، إنها سيرة حافلة بالترحال لاقتناء المعرفة من مصادرها الأولى .

3- ثقافته و علمه :

تعددت مصادر ثقافة ابن مرزوق بين العلوم الدينية و علوم العربية و المنطق فكان كما وصفه تلميذه أبو الفرج بن أبي يحي الشريف التلمساني فيما ينقله المقري : " جامع أشتات العلوم الشرعية و العقلية حفظا و فهما و تحقيقا "[2] . فقد نبغ في ميادين علمية كثيرة . إنه " مفكر أصولي محقق ، و مفسر ، و محدث حافظ للرواية و السند و فقيه مالكي مجتهد حجة في المذهب ، و ناظم لغوي متضلع في النحو و البيان و العروض ، و مفتي سُني ... و كان صوفيا زاهدا ورعا له كرامات ، اطلع على علوم عصره و أخذ من كل فن بأوفر نصيب ... فكان آية في تحقيق العلوم و الإطلاع المفرط على المعقول و المنقول ، و أتقن علوم الدين و اللغة .."[3] .

أما شيوخ ابن مرزوق ، فنقتصر على ذكر أشهرهم ، فمنهم ابن حجر العسقلاني و سعيد العقباني و أبو إسحاق المصمودي و ابن عرفة و أبو العباس القصار و السراج البلقيني و ابن الملقن و ناصر الدين التنسي و ابن جزي و الحافظ العراقي . كما لقي الفيروزآبادي و أخذ كل واحد منهما عن الآخر[4] . و من أشهر تلاميذه الولي عبد الرحمن الثعالبي صاحب تفسير الجواهر الحسان و يحي بن إدريس المازوني صاحب

---

1 – ينظر: يحي بوعزيز : أعلام الفكر و الثقافة في الجزائر المحروسة،ج2 ، دار الغرب الإسلامي، ط1 ، بيروت 1995 ، ص 51 / 56 .
2 – المقري : نفح الطيب ، ج7 ، ص 397 .
3 – أبو عمران الشيخ و آخرون : معجم مشاهير المغاربة ، منشورات دحلب ، الجزائر 2000 ، ص 428 .
4– ينظر : عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني ، فهرس الفهارس و الأثبات و معجم المعاجم و المشيخات و المسلسلات تح : إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي، ط 2 ، بيروت 1982 ، ص 524 . و ينظر : شمس الدين السخاوي الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج7، دار الحياة ، بيروت (د.ت) ، ص 50 . و ينظر: عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين، ج3 ، مؤسسة الرسالة ، ط 1 ، بيروت 1993 ، ص 97 .

كتاب النوازل و أبو الفرج بن أبي يحي الشريف التلمساني و القاضي عمر القلشاني و نصر الزواوي و أبو الفضل المشدالي و السيد الشريف قاضي غرناطة و الحافظ التنسي و ابنه محمد بن مرزوق الكفيف .

كان ابن مرزوق من المشهود لهم بالعمق في العلوم و الإجتهاد في الرأي ، حتى وصفه تلاميذه برئيس علماء المغرب على الإطلاق ، كما أن الناس قد أجمعوا على فضله من المغرب إلى الديار المصرية و بأنه عديم النظير في وقته[1] .

أسهب المقري في ذكره والثناء عليه في (نفح الطيب) ، و سمّاه في سلسلته العلمية ثم أفرد له ترجمة طويلة نقتطف منها ما يدل على سعة علمه و إحاطته بمختلف المعارف الدينية و اللغوية ، و يبرز مكانته العلمية و الأدبية : " هو البحر الإمام المشهور الحجة الحافظ العلامة المحقق الكبير النظار المطلع المصنف المنصف التقي الصالح الناصح الزاهد العابد الورع البركة الخاشع الخاشي النبيه القدوة المجتهد الأبرع الفقيه الأصولي المفسر المحدث الحافظ المسند الراوية الأستاذ المقرئ المجود النحوي اللغوي البياني العروضي الصوفي الأواب الولي الصالح العارف بالله الآخذ من كل فن بأوفر نصيب ، الراعي في كل علم مرعاه الخصيب "[2] . و يضيف في موضع آخر : " كان رحمه الله تعالى آية الله في تحقيق العلوم و الإطلاع المفرط على النقول ، و القيام التام على الفنون بأسرها "[3] .

ينقل المقري قول أبي الفرج بن الشريف التلمساني ، أنه تتلمذ في حلقة الإمام ابن مرزوق الذي كان يدرسهم من أمهات الكتب في علوم مختلفة ، و جعل يسميها فمثلا ما يتصل باللغة و البلاغة قال " و من العربية نصف المقرب تفقها ، و جميع سيبويه كذلك ، و ألفية ابن مالك و أوائل شرح الإيضاح لابن أبي ربيع و بعض المغني لابن هشام ... و في البيان التلخيص و الإيضاح و المصباح و كلها تفقها ..." [4] ، و هذه الأقوال تدل على فضل ابن مرزوق وسعة علمه، وهو ما سيتضح أكثر بالنظر في مؤلفاته.

---

1 – ينظر : أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، دار الغرب الإسلامي، ط1 ، بيروت 1998 ، ص52 .

2 – المقري : نفح الطيب ، ج 7 ، ص 394 .

3 – المرجع نفسه ، ص 395 .

4 – المرجع نفسه ، ص 398 .

4- مؤلفاته :

تنوعت مؤلفات الإمام ابن مرزوق بين علوم الفقه و الحديث و اللغة و الأدب و المنطق ، نذكر عناوينها فيما يلي[1] :

أ- كتب اللغة و الأدب :

1- إظهار صدق المودة في شرح البردة ، و يعرف بالشرح الأكبر لأن ابن مرزوق له ثلاثة شروح على البردة ، كان " الإظهار " أضخمها ، و هو شرح لبردة البوصيري .

2- الإستيعاب لما في البردة من البيان و الإعراب ، و يعرف بالشرح الأصغر .

3- شرح على البردة (الشرح الأوسط) ، لم يُثبت له عنوان في شتى المراجع التي تذكره .

4- الغاية القراطيسية في شرح الشقراطيسية ، شرح لقصيدة أبي محمد عبد الله بن يحي الشقراطيسي في مدح الرسول صلى الله عليه و سلم ، أثبته السخاوي بعنوان " الذخائر القراطيسية في شرح الشقراطيسية " و وافقه البغدادي في ذلك ، و أضاف عنوانا آخر هو " المفاتيح القراطيسية في شرح الشقراطيسية " على أنهما كتابان[2] .

5- المفاتيح المرزوقية في حل الأقفال و استخراج رموز الخزرجية في العروض .

6- إيضاح السالك على ألفية ابن مالك . شرح لم يكمله .

7- شرح التسهيل ، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك .

8- منظومة رجز في تلخيص المفتاح / المفتاح هو مفتاح العلوم للسكاكي في البلاغة أما التلخيص الذي نظمه ابن مرزوق فهو للقزويني .

9- منظومة رجز في تلخيص ألفية ابن مالك .

---

1 - ينظر : أبو القاسم محمد الحفناوي : تعريف الخلف برجال السلف ، تح : محمد رؤوف القاسمي الحسني دار موفم للنشر ، الجزائر 2007 ، ص 156 .
و خير الدين الزركلي : الأعلام ، ج5 ، دار العلم للملايين ، ط 5 ، بيروت 1980 ، ص331 .
و المقري : نفح الطيب ، ج7 ، ص 402 .
و ابن مريم التلمساني : البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان ، تح : محمد بن أبي شنب المطبعة الثعالبية ، الجزائر 1908 ، ص 210 .

2- اسماعيل باشا البغدادي : هدية العارفين أسماء المؤلفين و آثار المصنفين ، ج2 ، دار إحياء التراث العربي بيروت (د.ت) ، ص 192 .

10- مجلد في شرح شواهد شروح ألفية ابن مالك .

11- ديوان خطب .

ب- الكتب الدينية :

12- أنوار اليقين في شرح حديث أولياء الله المتقين .

13- أنوار الدراري في مكررات البخاري .

14- عقيدة أهل التوحيد المخرجة من ظلمة التقليد .

15- الآيات الواضحات في وجه دلالة المعجزات (مؤلف في العقيدة) .

16- تفسير سورة الإخلاص على طريقة الحكماء .

17- الروضة / رجز في علم الحديث .

18- الحديقة / رجز في علم الحديث و هو مختصر للروضة سابقة الذكر .

19- اغتنام الفرصة في محادثة عالم قفصة .

20- الدليل المومئ في ترجيح طهارة الكاغد الرومي .

21- النصح الخالص في الرد على مدعي رتبة الكمال للناقص .

22- مختصر الحاوي في الفتاوي ، اختصر فيه فتاوي ابن عبد البر التونسي .

23- الروض البهيج في مسائل الخليج .

24- المتجر الربيح و السعي الرجيح و المرحب الفسيح في شرح الجامع الصحيح .

25- المنزع النبيل في شرح مختصر خليل / لم يكمله .

26- شرح ابن الحاجب الفرعي ، في الفقه .

27- كتاب في الفرائض .

28- مجموعة أجوبة و فتاوي ينقلها المازوني في " النوازل" و الونشريسي في " المعيار".

29- أرجوزة ألفية في محاذاة حرز الأماني للشاطبي / في القراءات القرآنية .

ج- كتب المنطق :

30- نهاية الأمل في شرح الجمل ، و هو شرح كتاب جمل الخونجي .

31- روضة الأريب في شرح التهذيب ، شرح لكتاب تهذيب الكلام و المنطق للتفتازاني

32- المعراج في استمطار فوائد الأستاذ ابن سراج ، فيه مباحث نحوية و منطقية .

33- منظومة رجز لجُمل الخونجي .

د- و له كتب متنوعة أخرى :

34- المقنع الشافي / أرجوزة في علم الميقات تضم 1700 بيتا .

35- إسماع الصم في إثبات الشرف من جهة الأم / في الأنساب .

36- تأليف في ترجمة شيخه إبراهيم المصمودي و مناقبه .

37- منظومة رجز تلخيص ابن البناء[1] .

هذا ما تثبته كتب التراجم و المصنفات لابن مرزوق الحفيد ، و هو كما يظهر غزير الإنتاج ، نوّه غير واحد بقيمة تآليفه و فضلها ، فكان بذلك قرين علماء القرنين الثامن والتاسع للهجرة موسوعيّ المعارف . إن تصانيفه الكثيرة المنوعة دالة على ذلك . كما يتضح من استعراض هذه المؤلفات اهتمام ابن مرزوق بشرح أمهات الكتب و نظمها زيادة على مؤلفاته العلمية الأصيلة .

1- لا تذكر كتب التراجم و المؤلفات مادة هذه المنظومة ، قد تكون رجزا لكتاب " تلخيص أعمال الحساب " لابن البناء المراكشي ، و يحتمل أن تكون نظما لتلخيص أشهر كتب ابن البناء " الروض المريع في صناعة البديع "

التعــريف بالكــتاب

1- تحقــيق عــنوان الكــتاب و نــسبته لمؤلــفه

2- ملابسات التأليف و دوافعه

3- مضمون مقــدمة المؤلــف

4- مقــارنة نص البردة برواية ابن مرزوق مع نصها المخطوط و المطبوع

1- تحقيق عنوان الكتاب و نسبته لمؤلفه :

ورد عنوان الكتاب في كتب التراجم و المؤلفات منسوبا لمؤلفه ابن مرزوق الحفيد[1] ، و لا يوجد من بينها من نسبه لسواه . فنسبة الكتاب ثابتة له و محققة .

و الحال ذاتها فيما تعلق بالعنوان ، فكل كتب التراجم و المؤلفات تذكر الكتاب بعنوانه الذي نص عليه ابن مرزوق في المقدمة : " و سميت المجموع المذكور بإظهار صدق المودة في شرح البردة " [2] . و قد أثبت هذا العنوان في المراجع المشار إليها لكونه واحدا من بين ثلاثة شروح ألّفها ابن مرزوق في شرح قصيدة البردة ، أصغرها (الإستيعاب) ، و أكبرها (إظهار صدق المودة) ، إضافة إلى الشرح الأوسط الذي لم تذكر له كتب التراجم عنوانا كسابقيْه .

من ذلك ما يذكره المقري : " و أما تواليفه فكثيرة ، منها شروحه الثلاثة على البردة الأكبر المسمى إظهار صدق المودة في شرح البردة ، استوفى فيه غاية الإستيفاء ضمَّنه سبعة فنون في كل بيت ، و الأوسط ، و الأصغر المسمى بالإستيعاب لما فيها من البيان و الإعراب "[3] .

و من المحتمل أن يكون الشرح الأوسط مختصرا للشرح الأكبر ، فإن عادة المؤلفين في تلك العصور كانت تأليف الكتب و تأليف مختصراتها بعد ذلك أو حتى شرحها .

1- من المصادر و المراجع التي تذكر الكتاب ثابت النسبة لابن مرزوق الحفيد :

- حاجي خليفة في كشف الظنون ، وصفه بأنه شرح عظيم . ينظر: حاجي خليفة ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، ج2 ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1992 ، ص 1331 .
- البغدادي : هدية العارفين ، ج2 ، ص192 .
- الزركلي : الأعلام ، ج5 ، ص331 .
- المقري : نفح الطيب ، ج7 ، ص402 .
- ابن مريم التلمساني : البستان ، ص210 .
- السخاوي : الضوء اللامع ، ج7 ، ص50 .

2- (أ) : [ظ1] ، الكتاب المحقق ، ص 62 .

3- المقري : نفح الطيب ، ج 7 ، ص 402 .

2- ملابسات التأليف و دوافــعه :

ألَّــف ابن مرزوق الحفيد كتابه " إظهار صدق المودة في شرح البــردة " لــشرح قصيدة البردة ، التي تعرف " بالكواكب الدرية في مدح خير البرية "[1] للإمام شرف الدين أبي عبد الله محمد بن سعيد بن حماد البوصيري[2] ، و مطلع القصيدة :

أَمِنْ تَذَكُّرِ جِيرَانٍ بِذِي سَلَمِ   مَزَجْتَ دَمْعاً جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمِ

فرغ ابن مرزوق من تأليفه في الثامن عشر من محرم عام 810 للهجرة ، هذا مــا سجله في آخر الكتاب: " و كان الفراغ من تقييد مبيضته يوم الجمعة الثامن عشر من شهر المحرم فاتح عام عشرة و ثمانمائة عرَّفنا [الله] المنّة فيها و بركته بمنّه بتلمسان حرســها الله "[3] .

تسعفنا مقدمة " إظهار صدق المودة " على معرفة الدوافع التي جعلت ابن مرزوق يهتم بشرح قصيدة البردة بالذات ، و هي متعددة :

أساسها الأول هو إعجابه بهذه القصيدة و رغبته العارمة في التأليف فيها . من ذلك قوله: " فلم أصل إلى التلــذذ ببعض ما فيها إلا بالنظر" [4] ، و لكنه كما قال يرى أن اللائــــق

1- قصيدة البردة من أشهر ما قيل في غرض المدائح النبوية ، نالت اهتمام العامة و الخاصة . نجد لها من التــشطير و التخميس و التسبيع شيئا كثيرا ، كما أُحصي لها من الشروح عشرات . و من أشهر شارحيها : خالد بــن عبــد الله الأزهري (ت905هــ) في شرح مفصل سماه " الزبدة في شرح قصيدة البردة " ، و القاضي زكريا بن محمد الأنصاري (ت926هــ) في شرح سماه " الزبدة الرائقة في شرح البردة الفائقة " ، و شهاب الدين القسطلاني (ت923هــــ) ســماه " الأنوار المُضية في شرح الكواكب الدرية " ، و جلال الدين المحلــي (ت864هــــ) ، و الزركــشي (ت794 هــــ) و علي بن محمد البسطامي (ت 875هــ) ، و ابن العماد (ت808 هــ) ، و جمال الدين بن هشام النحوي (ت761هــــ) إضافة إلى شروح أبي عبد الله محمد بن مرزوق الحفيد التلمساني التي ذكرنــاها فيمــا ســبق . ينظر : حاجي خليفة كشف الظنون ، ج2 ، ص 1334 .

2- البوصيــري : (608 - 696 هــ) محمد بن سعيد بن حماد بن عبد الله الصنهاجي البوصــيري ، شــرف الــدين أبو عبد الله : شاعر حسن الديباجة ، مليح المعاني ، نسبته إلى بوصير بمصر لأن أمه منها ، و أبوه من الجزائر مــن قلعة بني حماد ، من قبيلة تعرف ببني حبنون . أهم ما ترك : ديوان شعر ، وأشهر شعره البردة ، مطلعها " أمن تذكر جيران بذي سلم " شرحها و عارضها كثيرون ، و الهمزيــة التي مطلعها " كيف ترقى رقيك الأنبيــاء " ، كما عارض قصيدة كعب بن زهير " بانت سعاد " بقصيدة مطلعها " إلى متى أنت باللذات مشغول " .

ينظر : خير الدين الزركلي : الأعلام ، ج 6 ، ص 139 .

3- الصفحة الأخيرة من نسخة المكتبة الزيدانية ، و في الكتاب محققا ، ص 642 .

4- (أ):[و1] ، الكتاب المحقق ، ص 61 .

بها ، الذي يرجوه و يتوق إليه بعيد عنه ، كونه يريد تذوق هذا النص و تلمس جماليته و بديعيته ، بأقصى قدر يمكن أن يتم حصوله له و لمن طلبه منه من الطلبة و الأقران من العلماء . و هو الأمر الذي لا يَدَّعيه و إن كان في الواقع متحققا به بل يتواضع قائلا : " و ليس لي من البضاعة ما أحصل به منها ما إليه النفس تتوق ... و لم أنقلب عن نيل إدراك ما أنويه من ذلك إلا بالعي و الحصر " [1] .

ثم يذكر ابن مرزوق دعوة من سماهم بالإخوان إلى أن يجود عليهم بالتكلم في إعراب القصيدة و ما فيها من بديعيات ، فما كان منه إلا أن استجاب لهم و أسعفهم لمطلبهم فألّف الإستيعاب ، وهو ما بيَّنه بقوله : " حتى دعاني بعض إخواني من الأصحاب إلى التكلم على ما في القصيدة من ألباب البديع و الإعراب ، فأجبته إلى ذلك ، و وضعت فيه مجموعا سميته بالإستيعاب" [2] . فكان بذلك أول اشتغاله على البردة ، منصبا تحديدا على مباحث الإعراب و البديع في هذا المؤلف . و اسمه الكامل (الإستيعاب لما في البردة من البيان والإعراب) ، وهو المعروف بالشرح الأصغر كما سبق .

بعد ظهور الإستيعاب و تداوله بين الناس ، لاقى قبولا و استحسانا صار معه كل من تذوق استيعابه يطالبه بالمزيد ، فانقاد لإرادتهم و حقق لهم مبتغاهم ، يقول: " فوقع من الإخوان لفضلهم موقع التعظيم والتبجيل ، فاستدعوا مني أن أضم إلى ذلك المؤلف بالشرح ليقع التكميل ... و لم أجد بُدا من امتثال ما إليه أشاروا ولا سبيلا إلى خلافهم " [3].

فأكمل العمل على شرح القصيدة بشكل أوسع و أضخم ، تمثل في الكتاب الذي ندرسه " إظهار صدق المودة في شرح البردة " و يُعرف بالشرح الأكبر .

يمكننا أن نضيف إلى هذه الدوافع دافعا آخر هو الدافع التعليمي ، إذ سبب طلب التأليف في إعراب و بديع القصيدة أولا كان لهذه العلة ، و ما يجعل هذا الأمر راجحا هو الطريقة التي سار عليها ابن مرزوق في شرحه ، إذ وقف على كل مصطلح – كان يسميه لقبا في فن من الفنون – فيقدم المصطلح و يُتْبعه بالتعريف و الشرح و التبسيط و تقديم الشواهد و الأمثلة ، وهذا هو الأنسب لغرض التعليم.

1- (أ) : [و1] ، الكتاب المحقق ، ص 62 .

2- المصدر نفسه ، ص 62 .

3- المصدر نفسه ، ص 62 .

3- مضمون مقدمة المؤلف :

لو حصرنا ما ورد في مقدمة " إظهار صدق المودة " في شكل نقاط محددة فإننا نجدها كالآتي :

1- ذكر فضل مدح النبي صلى الله عليه و سلم :

فنوّه الشارح بالثواب المستوجب عن ذلك لمن قام " على مدحه صلى الله عليه و سلم بذكر بعض البعض مما اشتمل عليه من حميد الصفات "[1] ، و كذلك الحال لمن اختار هذه النصوص مادة لشرحه .

2- حصر مادة الشرح :

قدم ابن مرزوق النص المشروح للقارئ ، و ذكر إعجابه به و رغبته في الإشتغال بالتأليف فيه ، يقول : " قام ... الشيخ الإمام الفقيه الفقير العارف المتقن الأديب الناظم شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد بن حماد المصري البوصيري ، بمدح خير العالمين و سيد المرسلين ، بقصيدة أظهرت صدق محبته فيه صلى الله عليه و سلم و وده و كسته حلة البهاء ، فسماها البردة ... فتعلق مَنْ بَعْدَه لهذا الفضل العظيم ... فمنهم المعارض و المخمّس و الشارح ، كل بقدر همّته ... و ليس لي من البضاعة ما أحصل به منها ما إليه النفس تتوق ، فلم أصل إلى التلذذ ببعض ما فيها إلا بالنظر" [2] .

3- التصريح بالغاية الفنية و الموضوعية المرجوة من الشرح :

و هي تذليل صعاب ألفاظ القصيدة ، و تجلية ما خفي من وجوه معانيها : " فوضعت عليها شرحا يذلل من اللفظ صعابه ، و يحط من وجه المعنى نقابه... " [3] .

4- تسمية الكتاب :

يصرح ابن مرزوق : " و سميت المجموع المذكور بإظهار صدق المودة في شرح البردة " [4]

5- عرض المنهج المتبع في الشرح :

عـدَّد المحاور التي بنى عليها شرحه ، وهو ما سنتناوله بالتفصيل في موضع لاحق .

1- الورقة 2 من نسخة الزيدانية ، و في الكتاب محققا ، ص 60 .

2- (أ): [و1] ، الكتاب المحقق ، ص 61 .

3- المصدر نفسه ، ص 61 .

4- (أ): [ظ1] ، الكتاب المحقق ، ص 62 .

6- توثـــيق رواية النص المشروح :

ذكر الشارح أن روايته للقصيدة متعددة المصادر ، ساق ذكر أسانيد بعضها مقتصرا على الروايات التي أخذها عن العلماء الأعلام ذائعي الصيت ممن لا تخفى شـــهرتهم ، و هـــي روايات تتفق في نص واحد ثابت لكل أبيات القصيدة .

كما اعتنى ابن مرزوق غاية الإعتناء بصحة نسبة كل بيت في القصيدة إلى قائلها الإمـــام البوصيري . و نسجل له في هذا الجانب موقفا نقديا صارما حين يقصي مجموعـــة مـــن الأبيات التي تُروى على ألسنة الناس فلا يذكرها إطلاقا ، بينما يذكر أبياتا أخرى و يجزم بعدم صحة نسبتها إلى البوصيري ، و يبرهن فنيا على أنها مما أدخل في القصيدة و ليس منها ، و يصرح أنه لم يشرحها إلا لانتشارها بين الناس .

إن حرص ابن مرزوق على التوثيق و التحقيق يتأكد من تخصيصه جـــزءا كبيـــرا من مقدمته لسرد أوثـــق رواية له لنص القصيدة ، و هي رواية شفوية بأسانـــيد مختلفـــة لا يبقى معها جانب للشك حول سبب اعتماده على هذه الروايـــة و إهمـــال غيرهـــا مـــن الروايات . إن السبب الوحيد الدافع على الإقتصار على الرواية الشفوية الموثقة هو التأكيد على وجوب تحري صحة نسبة الأبيات إلى قائلها و خطورة ذلك ، وهو ما سيتم التعرض إليه في عنصر لاحق .

4- مقارنة نص البردة برواية ابن مرزوق مع نصها المخطوط و المطبوع :

قارنت نصوص أبيات القصيدة المشروحة (البردة) - بهدف توثيق نصها - استنادا إلى أربعة مصادر :

1- رواية ابن مرزوق الواردة في الشرح في النسختين (أ) و (ب) .

2- نصها في (ديوان البوصيري) المطبوع[1] ، رمزت له بـ (د) .

3- نص طبعة قديمة تعود للمطبعة الثعالبية بالجزائر ، رمزت لها بـ (ثع) .

4- نص نسخة مخطوطة بعنوان " البردة " رقمها (7590) بمكتبة جامعة الرياض بالمملكة السعودية ، نسخت في القرن 14 للهجرة تقديرا ، رمزت له بـ (مخ) .

لاحظت اختلافا بين النصوص الأربعة ، هو كما يأتي :

- في (مخ) زيادة بيت في أول القصيدة نصه :

الحمد لله منشي الخلق من عدم ثم الصلاة على المختار في القدم

- البيت : **وَ لا أعَارَتْكَ لَوْنَيْ عَبْرَةٍ وَ ظَنَاً * ذِكْرَى الخِيَامِ وَ ذِكْرَى سَاكِنِ الخِيَمِ**

ورد في (أ)و(ثع)، سقط من (ب) سهوا من الناسخ إذ ثبت في الشرح، لم يرد في(د)و(مخ)

- البيت : إنِّي اتَّهَمْتُ نَذِيرَ الشَيْبِ فِي **عَذَلِي** ...

في (أ) و (ب) و (ثع) : **عذلي** ، و في (د) و (مخ) : **عذلٍ** .

- البيت : وَ لا تَزَوَّدْتُ قَبْلَ المَوْتِ نَافِلَةً * وَ لَمْ أُصَلِّ سِوَى **فَرْضٍ** وَ لَمْ أَصُمِ

في (أ) و (ب) : **فرضٍ** ، و في (د) و (ثع) و (مخ) : **فرضي** .

- البيت : فَهُوَ الذِي تَمَّ مَعْنَاهُ وَ صُورَتُهُ * ثُمَّ اصْطَفَاهُ **حَبِيباً** بَارِئُ النَّسَمِ

في (أ) و (ثع) و (مخ) و (د) : **حَبِيباً** ، و في (ب) : **حَبِيبٌ** .

- البيت : أعْيَا الوَرَى فَهْمُ مَعْنَاهُ فَلَيْسَ يُرَى * **لِلْقُرْبِ** وَ البُعْدِ فِيهِ غَيْرُ مُنْفَحِمِ

هو نص (ب) و(مخ) ، وفي (أ) و(د) و(ثع) : **في القرب**... ، وما في (أ) خطأ من الناسخ

- في (ثع) زيادة بيت بعد البيت : " أكرم بخلق نبي... " ، نص البيت المزيد :

حتى إذا طلعت في الأفق عمّ هداها العالمين و أحيت سائر الأمم

1- ديوان البوصيري ، شرح و ضبط و تقديم: عمر الطباع ، دار الأرقم بن أبي الأرقم ، بيروت (د.ت) .

– البيت : يَــوْمٌ تَفَــرَّسَ **مِنْهُ** الفُــرْسُ أَنَّهُمُ ...

في (أ) : **مِنْهُ** ، و في (ب) و (د) و (ثع) و (مخ) : **فِيهِ** .

– البيت : عَمُوا وَ صَمُّوا **فَأَعْلانُ** البَشَائِرِ لَمْ * تُــسْمَعْ...

في (أ) و(ب): **أَعْلانُ** (جمع عَلَن)، وفي (د) و(ثع) و(مخ): **إعْلانُ**، غير أن بعدها (تُسْمَعْ) بالتاء ولا تصح مع (إعلان) التي يناسبها (يُسمع) بالياء . وهو من أخطاء النُسّاخ.

– البيت : كَأَنَّمَا سَطَرَتْ سَطْــراً لِمَا كَتَبَتْ * فُرُوعُهَا مِنْ بَدِيــعِ الخَطِّ فِي **اللَّقَمِ**

في (أ) و (د) و (ثع) و (مخ) : **اللَّقَــمِ** ، و في (ب) : **القَــلَمِ** وهو خطأ من الناسخ .

– البيت : **فَــذَاكَ** حِيــنَ بُلُــوغٍ مِنْ **نُبُــوَّتِهِ** ...

في (أ) و(د) و(ثع) و(مخ) : **نُبُــوَّتِهِ** ، و في (ب) : **نُبُــوءَتِهِ** . و في (د) و(مخ) : **وَ ذَاكَ**

– البيت : بِعَارِضٍ جَادَ أَوْ خِلْتَ البِطَاحَ بِهَا * **سَيْبٌ** مِنَ اليَــمِّ أَوْ **سَيْلٌ** مِنَ العَرِمِ

في (أ) و(ب) و(د) و(ثع) : **سَيْبٌ / سَيْلٌ** ، و في (مخ) : **سَيْباً / سَيْلاً** .

– الأبيات : لَمَّا شَكَــتْ وَقْعَهُ البَطْحَاءُ قَالَ لَهُ * عَلَى الرُّبَى وَالهِضَابِ انْهَلَّ وَانْسَجِمِ

إلى : لَوْلا العِنَــايَةُ كَانَ الأَمْرُ فِيهِ عَلَى * حَــدِّ السَّوَاءِ فَــذُو نُطْقٍ كَذِي بَــكَمِ

وردت في(أ) و(ب) و(ثع) و أنكر ابن مرزوق نسبتها للبوصيري ، لم ترد في(د) و(مخ) .

– البيت : لَــمَّا دَعَــا اللهُ دَاعِينَا لِطَاعَــتِهِ * بِأَكْــرَمِ الرُّسْلِ كُــنَّا **أَكْــرَمَ** الأُمَمِ

في (أ) و(ب) و(د) و(ثع) : **أَكْــرَمَ** ، و في (مخ) : **أَشْرَفَ** .

– البيت : هُمُ الجِــبَالُ فَسَلْ عَنْهُمْ مُصَادِمَهُمْ * مَاذَا **رَأَى** مِنْهُمُ فِي كُــلِّ مُصْطَــدَمِ

في (أ) و (ب) و (ثع) و (د) : **رَأَى** ، و في (مخ) : **رَأَوا** .

– البيت : إِنْ قَامَ فِي جَامِعِ الهَيْجَا خَطِيــبُهُمُ * تَصَــامَمَتْ عَنْهُ أُذنَــا صَمَّةِ الصَّمَمِ

ورد في (أ) و(ب) و(ثع) و أنكر ابن مرزوق نسبته للبوصيري ، لم يرد في(د) و(مخ) .

– في (ثع) زيادة بيت بعد البيت: "و من تكن برسول الله نصرته..." ، نصه :

من يعتصم بك يا خير الورى شرفا اللّــه حافــظه من كــل منتــقم

– البيت : فَيَا خَسَــارَةَ **نَفْسِي** فِي تِجَارَتِهَا ...

في (أ) و (ب) و (ثع) و (مخ) : **نَفْسِي** ، و في (د) : **نَفْسٍ** .

– البيت : إِنْ آتِ ذَنْباً فَمَا عَهْدِي **بِمُنْتَــقِضٍ** ...

في (أ) و (ب) و (ثع) و (مخ) : **بِمُنْتَــقِضٍ** ، و في (د) : **بِمُنْتَــقِصٍ** .

– البيت : وَ لَمْ أُرِدْ زَهْرَةَ الدُّنْيَا التِي **قطفَتْ** * يَـــدَا زُهَـــيْرٍ...

في (أ) و (ب) : **قطفَتْ** ، و في (د) و (ثع) و (مخ) : **اقــتَطَفَتْ** .

– البيت : يَا أكْرَمَ **الخَلْقِ** مَا لِي مَنْ أَلُـــوذُ بِهَ ...

في (أ) و (ب) و (ثع) و (مخ) : **الخَلْقِ** ، و في (د) : **الرُّسْـــلِ** .

– البيت : وَ لَنْ يَضِيقَ رَسُولَ اللهِ جَاهُكَ بِي * إذَا الكَـــرِيمُ **تَحَــلَّى** بِاسْـــم مُنْتَـــقِمِ

في (أ) و (ب) و (د) : **تَحَــلَّى** ، و في (ثع) و (مخ) : **تَجَــلَّى**.

– في (ثع) زيادة أبيـــات بعد البيت : " و الطف بعبدك ... " ، وردت في (مخ) في آخـــر القصيدة بترتيب مختلف مع أبيات أُخَر بعنوان " الدعاء الملفق " . نصها :

و يغـــفر الله مولانا العظيـــم لنا   و والـــدينا و للإســـــلام كـــلهم

يا رب صل على محمـــد و على   ساداتـــنا الفضــــلا و صحبه الكِرَم

و الآل و الصحب ثم التابعين لهم   أهل التقى و النقى و المجد و الكَرَم

يا رب بالمصطفى بلغ مقاصدنا   و اغفر لنا ما مضى يا واسع الكَرَم

القيــــمة العلمية للكــــتاب

- دراسة المضمون -

1- أهمية الكتاب

2- منـهج ابن مرزوق في شرح النصوص الشعريـــة

3- السند النقدي و الجمالي لابن مرزوق

4- ابــن مرزوق و التراث النقدي و البلاغي

5- أثــر طريقة ابن مرزوق في شرح النصوص الشعـــرية

6- قضـــايا نقدية و بلاغــية عارضة فـــي الكتاب

1- أهمية الكتاب :

عُني العلماء المغاربة قديما بشرح النصوص الشعرية ، و كانت الظاهرة البارزة التي تنتظم أغلب العصور هي اتجاه الشراح إلى نصوص بعينها ، على رأسها " البردة " و الهمزية " للبوصيري ، و " بانت سعاد " لكعب بن زهير ، و " لامية العرب " للشنفرى و ديوان الشعراء الستة[1] و دواوين الحماسة و المتنبي و المعري .

و بالرجوع إلى ما قبل عصر ابن مرزوق ، يتبين أن انصراف المغاربة إلى هذا اللون النقدي من التأليف ، و نقصد الشروح الأدبية ، كان محكوما أكثر ما يكون باتجاهين بارزين :

- الإتجاه الأول : تقليد تعليمي درج عليه أهل المغرب العربي و بلاد الأندلس على السواء ، حيث " كان حفظ الأشعار العربية و علم معانيها و معرفة ما فيها من خبر و لغة و أغراض بلاغية و ميزات فنية جزءا هاما يقرر على الطلبة في حلقات الدرس ، و يأخذ به الدارس نفسه من حفظ و فهم و دراية " [2] .

و من أهم ما يدخل في هذا الباب من تأليفات:

- شرح ديوان صريع الغواني للطبيخي (ت 352 هـ) .
- شرح ديوان المتنبي لابن الإفليلي (ت 441 هـ) .
- شرح على الشعراء الستة للأعلم الشنتمري (ت 472 هـ) .

تبدأ هذه الشروح غالبا بشرح الألفاظ شرحا لغويا ، ثم بسط المعنى المقصود من البيت أو الفقرة ، و إعراب بعض الكلمات أحيانا التي يترتب عنها توجيه المعنى ، مع التعرض لبعض المصطلحات العروضية و البلاغية و الإفادة منها[3] .

- الإتجاه الثاني : اتجاه التذوق الجمالي ، حيث ظهر علماء من أهل اللغة و البلاغة والأدب : " انصرفوا إلى الشروح مكتفين بتذوقهم هذا ، و استخلاص القيم الجمالية من

1- الشعراء الستة هم : امرؤ القيس و النابغة الذبياني و علقمة بن عبدة و زهير بن أبي سلمى و طرفة بن العبد و عنترة بن شداد .

2- محمد رضوان الداية : تاريخ النقد الأدبي في الأندلس ، مؤسسة الرسالة ، ط 2 ، بيروت 1993 ، ص 71 .

3- المرجع نفسه ، ص 74 .

النصوص نفسها ، و كأنهم أيضا مالوا إلى سوق الذوق و التذوق إلى الدارس عمليا و من خلال الجمل و الفقرات و الأبيات ... [مع] ملاحظات بلاغية و نقدية "[1].
و أهم ما أُلّف في هذا الإتجاه :

- شرح مشكل أبيات المتنبي لابن سيده (ت 458 هـ) .
- شرح ديوان سقط الزند للمعري لابن السيد البطليوسي (ت 521 هـ) .

تجمع هذه الشروح بين الشرح اللغوي و شرح المعاني مع الإشارة إلى الشائع منها و المبتكر ، و ملاحظة وجوه البيان ، بمعالجة جزء من المعنى معالجة منطقية أو حتى فلسفية ، و قد يتخللها بعض الملاحظات اللغوية و النحوية [2] .

إن تأثير هذا المنحى في تكوين الشخصية العلمية لابن مرزوق ظاهر و قوي لكنه ليس الخلفية المعرفية الوحيدة التي ينطلق منها في إنتاجاته . فقد كان لاطلاعه الواسع على أمهات الكتب المشرقية في سائر الفنون أثر كبير في بناء فكره و ثقافته ، إذ درس كتب اللغة و النحو و البلاغة و النقد و المنطق و علم الكلام و أصول الفقه و الحديث و تفسير القرآن و التصوف و بعض العلوم التجريبية و أحصى مسائلها و قضاياها . عرفنا ذلك عند التطرق لثقافته و علمه ، بالأخص عند ذكر الكتب التي كان يُدَرِّسها لتلامذته .
استوعب بالإضافة إلى هذا ذخيرة بيئته المغاربية و علومها ، فانصهرت عنده المعارف لتشكل ثقافته الموسوعية التي انبنت قناعاته على أساسها .

لكي تكتمل صورة هذه الخلفية المعرفية بصفة عامة ، و في ميدان النقد و البلاغة بصفة خاصة ، نركز القول فيما يأتي على بيئة النقد و البلاغة في المغرب العربي، و هي البيئة التي أسهمت في تحديد توجه ابن مرزوق و منحاه في الشرح . فقد عرفت ساحة النقد و البلاغة في المغرب العربي طبقة من العلماء اللغويين و المتأدبين ، أسهمت في صنع خلفية علمية أدبية فيما بعد . منهم الحسن ابن رشيق المسيلي (ت 456 هـ) في كتابه (العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده) ، الذي ظل أثره باقيا في المؤلفات التي

1- محمد رضوان الداية : تاريخ النقد الأدبي في الأندلس ، ص 72 .
2- المرجع نفسه ، ص 169 .

بعـــده . و على منواله كان كتاب (أنـــوار التجلي على ما تضمنته قصيدة الحلي) لابـــن أبي القاسم الثعالبي (ت 789 هــ) [1].

كما شهد القرنان السابع و الثامن للهجرة هيمنة مدرسة بلاغية مغاربية ، أظهـــرت تمكنا عجيبا من اللغة العربية و آدابها ، و استيعابا متمكنا متناهي السعة للدراسات النقدية و البلاغية العربية ، مع اطلاع أكثر وعيا و أعمق فهما لمنطق أرسطو و مضمون كتابيه (الشعر) و (الخطابة) . إن آثارهم التي خلفوها دالة على ذلك .

أبرز أعلام هذه المدرسة المغاربية:

- حازم القرطاجني (ت 684 هــ) : في كتابه (منهاج البلغاء و سراج الأدباء) .
- ابن البنـــاء المراكشي (ت 721 هــ) : في كتابه (الروض المريع في صـــناعة البديـــع) .
- السجلماسي ، أبو محمد القاسم (توفي بعد 704 هــ) : في كتابه (المنزع البديـــع في تجنيس أساليب البديع) .

دون إغفـــال دور ابن خلدون (ت 808 هــ) من خلال (المقدمة) ، و دور ابن رشـــد الحفيد (ت 595 هــ) في شروحه لكتب أرسطو[2] .

كانت هذه هي الخلفية المعرفية لابن مرزوق ، التي تبين موقعه الصحيح في ميدان النقد و البلاغة عموما من حيث التوجه و المنطلقات .

و لكن ما الموقع النوعي لكتاب " إظهار صدق المودة " بين كتب الشروح الأدبية ؟

1- محمد مرتاض : النقد الأدبي القديم في المغرب العربي : منشورات إتحاد الكتاب العرب ، دمشق 2000 ، ص29 .

2- أمجد الطرابلسي : تقديم لكتاب المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع للسجلماسي ، تح : علال الغازي ، مكتبة المعارف ، ط 1 ، الرباط 1980 ، ص 12 .

- كتاب " إظهار صدق المودة " بين كتب الشروح الأدبية :

يذهب محمد العمري في مقدمة تحقيقه لكتاب (المسلك السهل في شرح توشيح ابن سهل) للإفراني ، إلى تقسيم هذه الشروح حسب إشكالية النص و الغرض المتوخى من الشرح ثلاثة أنواع هي :

1- شرح نصوص دينية ، تتعلق في الغالب بمدح الرسول (ص) . و تثير قضايا صوفية .

2- شروح تستهدف غاية لغوية تعليمية .

3- شروح تتجه إلى القيمة الأدبية للنص ، و تَعُدّ الشرح اللغوي و الإعراب و التخريجات البلاغية وسيلة لاجتلاء درر المعاني[1] .

يجمع كتاب ابن مرزوق بين الإتجاهين الأدبي و الديني ، فقد انصرفت غايته إلى القيمة الأدبية للقصيدة المشروحة ، مع عدم تهميش ما يناسبها من المعاني الدينية التي يكشفها مدح الرسول (ص) الناشئ عن مشاعر حبه و صدق مودته .

أما دور الإتجاه الديني فكان في اختيار النص المشروح ، و هو نتيجة ما حظيت به قصيدة البردة من إقبال و تفضيل عند عامة الناس ، لكونها مديحا لرسول الله (ص) و لِما ألِفته الأذن من سماع لذيذ إنشادها . فالذوق العام رشّح قصيدة البردة لتتبوأ هذه المكانة كرمز ديني ، و هذا الجانب تحديدا يجعلنا نضيف إلى الإتجاه الديني توجها اجتماعيا يتلبّس به و لا يفارقه . بينما الإتجاه الرئيس المهيمن على غرض الشرح و غايته المتوخاة هو الإتجاه الأدبي ، إذ يقول ابن مرزوق : " فوضعت عليها شرحا يذلل من اللفظ صعابه ، و يحط من وجه المعنى نقابه ، و جعلت الكلام على ما أشرحه من أبياتها في سبع "[2] ، هي : شرح غريب الألفاظ ، و تفسير الأبيات ، و استخراج ما فيها من المعاني و البيان و البديع ، و إعرابها و التنبيه لإشاراتها الصوفية .

إن مستويات الشرح هذه تؤكد الغاية الأدبية التي حدت بابن مرزوق إلى تأليف الكتاب غاية تتلخص أساسا في : تذليل صعاب الألفاظ و كشف وجوه المعاني المتنقبة .

1- محمد العمري : مقدمة تحقيق " المسلك السهل في شرح توشيح ابن سهل " للإفراني ، طبعة وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية ، المغرب 1997 ، ص 20 .

2- (أ): [و1] ، الكتاب المحقق ، ص 61 .

2- منهج ابن مرزوق في شرح النصوص الشعرية :

بَسَط ابن مرزوق المنهج الذي سار عليه في شرح القصيدة و يسره . فقال مبينا طريقة الشرح التي ينتهجها :

" و جعلت الكلام على ما أشرحه من أبياتها في سبع تراجم :

أولها : **شرح الغريب** ، في شرح لغات الألفاظ المفردة و ما يتعلق بها من التصريف .

ثم **التفسير** ، في شرح المعنى المقصود من تراكيب الجمل .

ثم **المعاني** ، في ذكر حكم خواص الكلم المستعملة في ذلك التركيب دون غيرها إفرادا و تركيبا .

ثم **البيان** ، في ذكر وجوه التركيب من وضوح دلالته على المعنى المراد ، و بيان الحقيقة منه و المجاز ، و ما ينخرط في سلك ذلك المعنى من ذلك الفن .

ثم **البديع** ، في ذكر وجوه ما في ذلك التركيب من المحاسن اللفظية و المعنوية .

ثم **الإعراب** ، فأذكر منه الوجوه القوية الظاهرة دون غيرها ، و هي ترجمة معينة على فهم معاني الأبيات .

ثم **الإشارات التصوفية** ، أذكر منها ما يمكن أن يكون إشارة ظاهرة إلى المعنى المذكور ... و ربما أضفت إلى هذه التراجم بأثر ترجمة التفسير ترجمة ثامنة إلا أنني لم أبوب لها أذكر فيها ما يوافق المعنى الذي قصده الناظم من شعر لغيره أو نثر ، ليكمل بذلك قصد الشرح " [1] .

يتكشف لنا من خلال هذه المستويات التي اعتنى بها ابن مرزوق ، أنه لم يكتف بما كان سائدا قبله من طرق الشرح التي كانت ترتكز أساسا على المسائل النحوية و اللغوية و قلما نجد فيها اهتماما صريحا بالبلاغة و البيان ، إلا في بعض الملاحظات اليسيرة .

يتفق مذهب ابن مرزوق هذا مع ما ذهب إليه ضياء الدين بن الأثير حين وازن بين النحوي و البلاغي في معرض حديثه عن علم البيان :

« ... فموضوع علم البيان هو الفصاحة و البلاغة ، و صاحبه يسأل عن أصولها اللفظية و المعنوية ، و هو و النحوي يشتركان في أن النحو ينظر

1- (أ): [و1] ، الكتاب المحقق ، ص61 .

في دلالة الألفاظ على المعاني من جهة الوضع اللغوي و تلك دلالة عامة و صاحب علم البيان ينظر من فضيلة تلك و هي دلالة خاصة ، و المراد بها أن يكون على هيئة مخصوصة من الحسن ، و ذلك أمر وراء النحو و الإعراب ، ألا ترى أن النحوي يفهم معنى الكلام المنظوم و المنثور و يعلم مواقع إعرابه ، و مع ذلك فإنه لا يفهم ما فيه من الفصاحة و البلاغة. و هنا غلط مفسرو الأشعار في اقتصارهم على شرح المعنى و ما فيه من الكلمات اللغوية ، و تبيين مواضع الإعراب دون شرح ما تتضمنه من أسرار الفصاحة و البلاغة »[1] .

و الملاحظة المنهجية الأخرى هي عدم تقسيم مادة الكتاب وفق أبواب و فصول ، بل عمد ابن مرزوق إلى تقسيم أبيات القصيدة في مجموعات . عدد هذه المجموعات 33 مجموعة ، تضم كل واحدة عددا من الأبيات المرتبطة من ناحية المعنى ، متباينة في أعداد أبياتها ، فأقلها أبياتا ضمت بيتين ، بينما ضمت أقصاها 13 بيتا . و مجموعة الأبيات هي العنوان . يندرج تحتها التحليل في المستويات السبعة التي اصطلح عليها بكلمة " تراجم " . و اللافت أن ابن مرزوق يحترم ترتيب التراجم كما نص عليه في المقدمة حين ينتقل بالتحليل من ترجمة إلى أخرى ، أي بالشكل التالي :
شرح الغريب ، فالتفسير فالمعاني فالبيان فالبديع فالإعراب فالإشارات .
نجد في شرح المجموعة الأولى ، التي تضم البيتين الأولين من القصيدة ، ترجمة إضافية خصصها للعروض لا تتكرر بعد ذلك ، تطرق فيها إلى وزن القصيدة و الزحافات والعلل و المسائل العروضية المتصلة بها .
كما تغيب في ذات المجموعة ترجمة البيان . و لا يتضح إن كان المؤلف تركها عمدا – وهو الراجح – أو سهوا ، أو أنها سقطت من النسخة الأم . و إن كان هذا الإحتمال الثاني مستبعد الوقوع .

إن اعتماد ابن مرزوق هذه المستويات الشرحية السبعة ، وهو أمر لم يُسبق إليه يُبين للقارئ أن عمله يقوم على تصور منهجي محكم و خطة صارمة ، إذ حاول أن

1– ضياء الدين ابن الأثير : المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر ، ج1 ، تح : محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت 1995 ، ص 26 .

يحيط بكل جوانب النص و زواياه : اللغوية (المعجمية و الصرفية) و التركيبية (النحو) و الدلالية (التفسير) و البلاغية (المعاني و البيان و البديع) و الإشارية (الإشارات الصوفية) ، مع إشارة مختلف المسائل المتعلقة بمعاني النص و ظروفه (تاريخية و دينية) .

إن هذا النسيج المستوياتي متعدد الآليات ، يوظف كل إمكانات القراءة الكفيلة بإبراز جماليات القصيدة في الرؤيا و التشكيل .

3- السند النقدي و الجمالي لابن مرزوق :

يقوم التصور النقدي لابن مرزوق على غاية تبيين جودة النص و التدليل على أفضليته ، و على تذوق جماليته و التلذذ به .

و للوصول إلى هذه الغاية ، يقترح ابن مرزوق في تعامله مع النص أن تتم مقاربته من مستويات مختلفة ، تتظافر فيما بينها لتحقق المتعة و المعرفة ، يكشفها في مقدمته من خلال الحدود التي بيَّن بها ما يهمُّه و ما يُعنى به في كل مستوى من مستويات الشرح السبعة ، التي ارتأى أن يعالج النص من خلالها .

إن ابن مرزوق يرى القصيدة تركيبا متناسبا من مستويات متنوعة ، ترجع إلى معانٍ و أساليب مصوغة في ألفاظ تتلاحم في نظام جامع .

و بالنظر في غرض ابن مرزوق من كل مستوى شرحي ، و استدلالا على طبيعة المادة المتضمنة فيه ، يمكننا تحديد العناصر الأساس التي تعد أدوات إجرائية ، يتذوق النص فنيا و جماليا بوساطتها ، و يمارس الشرح من خلال دراستها . وهي : المعاني المعجمية والنحوية و التفسير والمناسبات الأدبية و الوجوه البلاغية و المعاني الإشارية . نستعرضها فيما يأتي :

أولا : المعاني المعجمية و النحوية :

تظهر في مستويين اثنين ، هدف بهما إلى فهم معاني الألفاظ و فحوى التراكيب هما : ترجمة شرح غريب الألفاظ و ترجمة الإعراب .

أما شرح الغريب فكان يأتي فيه بكل المعاني المعجمية التي تفيدها اللفظة المفردة ، و التي تكون مناسبة لمعنى البيت و سياقاته ، في حين يترك المعاني البعيدة التي لا تصلح

للمعنى الذي أراده الشاعر . و قد سمَّى هذا المستوى بشرح الغريب دون أن يقدم تعريفا لمصطلح الغريب الذي ثبتت المعاجم و بعض المؤلفات التراثية دلالاته .
كما أنه كان يقدم المداخل المعجمية لأغلب ألفاظ البيت بما فيها الواضحة منها . أما المادة اللغوية فكان أكثر اعتماده فيها على (معجم الصحاح) للجوهري ، إضافة إلى شروحه الخاصة و ما ينقله عن علماء اللغة الآخرين بشكل يسير .

إن ابن مرزوق يستعرض للفظة الواحدة مادتها المعجمية المتعددة ، من حيث هي حزمة واحدة تسهم بمجموع أفرادها في تشكيل معنى اللفظة و تحديده . و تتحول هذه الحزمة بدورها إلى جزء أساس في بناءٍ أكبر هو معنى البيت الشعري أو مجموعة الأبيات ، بحيث ينضبط الكل في تناسب .

أما الإعراب فصرح فيه أنه قد اقتصر على الوجوه القوية الظاهرة دون سواها من الوجوه. ولا شك أن تبيُّن محل إعراب الألفاظ و الجمل معِين على فهم المعاني . فأوْجه الإعراب تُنتج معاني نحوية تُوَجِّه المعنى الكلي و تُثْريه . غير أن ابن مرزوق أخّر مستوى الإعراب فكان بعد مستويات البلاغة ، و الأحسن تقدمه عليها لدوره في التدليل على المعاني . و لعل سبب هذا التأخير مرده إلى كون هذا المستوى سابقا في التأليف ضمن شرحه الأصغر (الإستيعاب) الذي أشرنا إليه في ما تقدم .

ثانيا : التفسير و ما يناسب المعاني الأدبية :

قصد ابن مرزوق بالتفسير شرح المعنى الذي ابتغاه الشاعر في كل بيت ضمن مجموعة الأبيات التي قسّم القصيدة إليها[1] ، رابطا بين السابق من الأبيات و التي بعده رافضا فكرة استقلال البيت بمعناه ، و هذا المستوى أفخم مستويات الشرح ، إذ لم يقصد فيه تيسير الفهم فحسب ، بل أبدع في إعادة تشكيل المعاني بشكل يلفت الإنتباه و يثير الدهشة و المتعة عند القارئ ، فكأنه أمام نص إبداعي آخر . و لكي يتلمس القارئ هذه الحقيقة نقترح أنموذجا من التفسير في شرح البيتين السابع و الثامن :

فَكَيْفَ تُنْكِرُ حُبّاً بَعْدَمَا شَهِدَتْ ... بِهِ عَلَيْكَ عُدُولُ الدَّمْعِ وَ السَّقَمِ

نَعَمْ سَرَى طَيْفُ مَنْ أَهْوَى فَأَرَّقَنِي ... وَ الحُبُّ يَعْتَرِضُ اللَّذَاتِ بِالأَلَمِ

بدأ التفسير مذكرا بما سبق استخلاصه من معاني الأبيات السابقة:

« لما أورد السائل على المخاطب الحجج الدالة على أنه محب و أكثر منها ... و ذلك كله بعد أن نزّل نفسه منزلة الجاهل في سؤاليه عن السبب الخاص و العام ، فِعْل المجادل العارف بوجوه الإحتجاج ، و تمّت الحجة على المخاطب حتى لم يبق له عذر و صحت نتيجة المستدل ، أقبل عليه بالخطاب ، و قال منكرا بصورة الإستفهام : فكيف تنكر بعد هذه الحجة بعدما شهدت بالحب عليك عدول لا ترد شهادتهم ، من الدمع السائل من عينيك عند ذكر الطلل ، و السقم القائم بجسمك لذكر ساكني الخيم ، أي ذلك كله مع قيام هذه الشهادات لا يحسن ، فإنهما شاهدان منك عليك لا يتهمان فهما قائمان مقام إقرارك ، و أخفّ ما يؤخذ به المرء إقراره على نفسه ... و لما كانت هذه الحجة واضحة و على كل شرف لائحة ، أفصح المخاطب فأقر بلسان المقال كما أقر بلسان الحال فقال نعم ، أي صدقت أيها السائل في كل ما ادعيت علي و جميع ما نسبت إلي ، فأول نبل رميتني به عن تيقنك راشق ، و أول ظن ظننتني بفكرك صادق ، فإني إنما بكيت

1- سبقت الإشارة إلى أن ابن مرزوق قسم أبيات القصيدة مجموعات . و لمطالعة الأبيات وفق تقسيمها على هذه المجموعات ، ينظر : فهرس النص المشروح ، ص 644 .

و سقمت من تذكر الجيران الذين كنت فارقتهم ، و تسليت عنهم بعض التسلي» [1] .

تتمدد مساحة تفسير الأبيات ، فتطال الصفحات العديدة حتى أنها أطول مستويات الشرح من أوله إلى آخره . و يتخلل التفسير أو يعقبه في آخره ما يناسب المعاني المشروحة من نصوص شعرية و نثرية ، يستشهد بها الشارح على صحة المعاني و سلامتها المنطقية و جماليتها ، و يحفل بها أنها من مهيع كلام العرب .

يبدو ابن مرزوق من خلال حشد هذه النصوص الشعرية و النثرية متأثرا بالكتب الأدبية التي تجمع مختارات النصوص شعرا و نثرا و أمثالا ، نحو قوله :

« بكاء الديار من أجل الهوى منزع عند الشعراء قديم ، و طريق تواتروا عليه مستقيم ، و افتضاح حبهم من أجل ذلك ظاهر ، و استدلال الوشاة العاذلين عليها بسلوكها دليل باهر ، قال مراد بن هياش الطائي :

سقى الله أطلالا بأخبية الحمى و إن كن قد أبدين للناس ما بيا

منازل لو مرت بهن جنازتي لقال صداي حاملي انزلا بيا »[2]

و بهذا كان مستوى التفسير هو المدخل الحقيقي لتناول الجانب الفني من النص المشروح ، و برزت غاية ابن مرزوق من الشرح كما كشفها في المقدمة ، و هي تذوق النص و التلذذ به ، إضافة إلى تبيين جودة معانيه و ارتفاع نظمه . فكان التذوق و التلذذ في ما يشبه النقد التأثري ، القائم على الإندماج مع النص و مشاركة التجربة في حالاتها النفسية و الإنفعالية ، كيف لا و القصيدة في مدح حبيب يُظهر الكل عظيم حُبّه ، و يشترك الصغير و الكبير في صدق ودّه ، هو الرسول صلى الله عليه وسلم .

سمحت هذه الطريقة بأن نكتشف ابن مرزوق شارحا و مبدعا في آن واحد . و أسلوب التفسير يدلل على ذلك بكلماته المتخيرة و عباراته المنمقة ، من خلال توظيف الكلمات المتجانسة و استخدام المجاز و المزاوجة في التعبير بين السجع و الإسترسال .

يُركز – لإثبات الجانب الفني للقصيدة – على سماتها الفنية الكامنة في نواحيها الجمالية إفرادا و تركيبا ، و القائمة في صورها الشعرية ، فيبسط معانيها بالشرح

1- (أ): [ظ59] ، الكتاب المحقق ، ص 109/108 .

2- (أ): [و87] ، الكتاب المحقق ، ص 101 .

والتحليل . و يأتي بشواهد الشعر و النثر التي من معناها ، غير أنه لا يتوسع في بحث هذه الصور أكثر من ذلك ، و إنما يؤخره للمستويات البلاغية الثلاثة (المعاني و البيان و البديع) .

ثالثا : الوجوه البلاغية :

سبق التأكيد على أن عمل الشارح في التفسير يرتكز في أهم جوانبه الفنية على استخراج مسائل الجمالية و الصور الشعرية و تحليلها و توضيح معانيها ، غير أنه آثر ترك تفصيل القول في بعض جوانبها إلى مستويات البلاغة : المعاني و البيان و البديع . ففي هذه المستويات ينكب على تحديد أركانها و تبيين نوعها ، مستدلا على ذلك بالآيات القرآنية و الأحاديث النبوية الشريفة و الأشعار ، مستعرضا آراء علماء البلاغة . ويرفقها أحيانا بآراء لعلماء اللغة و علماء الكلام و أصول الفقه .

يتجلى قصد الشارح من هذه المباحث البلاغية بما كشفه في المقدمة ، إذ بيّن أنه يذكر في المعاني خواص الكلم المستعملة في التركيب دون غيرها إفرادا و تركيبا، و يذكر في البيان وجوه التركيب من حيث وضوح دلالته على المعنى المراد ، و بيان الحقيقة منه و المجاز ، و كل ما ينخرط في حقل علم البيان ، كما يذكر في البديع وجوه ما في ذلك التركيب من المحاسن اللفظية و المعنوية .

و بالنظر في مادة هذه المباحث البلاغية الثلاثة ، نصادف جملة من المسائل يبرزها الشارح و يقدم مصطلحاتها و تعاريفها و يناقش أهم قضاياها .

ففي مستوى المعاني كان الإهتمام بوظائف و فوائد : التعريف و التنكير و الإضافة و التقديم و التأخير و الحذف و الإيجاز و الإستفهام و الخبر و الإنشاء و الفصل و الوصل و النداء و النهي و التوكيد و التعبير بالموصول و البدل و الجمل المعترضة . أما مصطلحات علم المعاني المتضمنة في " الإظهار " فهي : الإلتفات و الخطاب العام و الإسناد المجازي و تجاهل العارف (سوق المعلوم مساق المجهول) و الإيجاز و إيجاز الحذف و إيقاع الظاهر موقع المضمر و التأكيد (التوكيد) و الإطناب و الحذف و حذف التقابل و التوشيح و التذييل و الإستئناف البياني و البيان بعد الإبهام .

و في مستوى البيان انصبّ جهد الشارح على تفكيك الصور البيانية المختلفة بشرحها و التدليل على عناصرها و تبيين نوعها و أثرها الجمالي ، مع إيراد شواهد

مناسبة لها أحيانا من القرآن و الشعر و بعض النصوص النثرية . أما المصطلحات البيانية الواردة في الشرح فهي: التشبيه و المجاز و الحذف من الأواخر لدلالة الأوائل والإستعارة بأنواعها و التخييل و التطريز و اللف و النشر و الإيغال و تسمية السبب (الملزوم) باسم المسبب (اللازم) .

و في مستوى البديع استخلص الشارح ما في النص من محسنات معنوية و لفظية و كثيرا ما كان يقرن " التأنق في مواضع من الكلام " بالأثر الإيجابي في نفسية المتلقي وألقاب (مصطلحات) البديع في هذا المستوى هي : براعة الإستهلال (براعة المطلع وحسن الإبتداء) و مراعاة النظير و التجنيس بأنواعه و الموازنة و المماثلة و الإرصاد (التسهيم) و الإحتراس (التكميل / التتميم) و التخيير و القافية المستدعاة و الحشو و الإئتلاف (التوفيق) و المبالغة (الإغراق) والمطابقة (الطباق / التضاد) و التوسيع و المذهب الكلامي و الكلام الجامع و الجمع و التقسيم و التفريق و التجريد و التوجيه و الترديد (التكرير) و ردّ الصدور على الأعجاز (التصدير/ تناسب الأطراف) و العكس و التبديل و إرسال المثل و عتاب المرء نفسه و الإستخدام و الإدماج و الرجوع و الإستدراك و حسن الإعتذار و حسن التخلص و براعة المطلب و التفريع و التدبيج و الإستطراد و المقابلة و التورية[1] .

رابعا : المعاني الإشارية :

صرّح ابن مرزوق في المقدمة ، أنه سيذكر في مستوى الإشارات التصوفية من المعاني الإشارية " ما يمكن " أن يكون " إشارة ظاهرة " في البيت الشعري . و من قوله " ما يمكن " نستدل على أنه يرى أن المتلقي للنص صنفان : الأول يمكنه أن يستظهر المعنى الإشاري و يصل إليه ، و الثاني لا يمكنه الوصول إلى هذه الإشارات .

و إن لم تكن المسألة بهذا الإطلاق في الصنفين ، فلا يعدو القصد أن يكون المتلقي قادرا على استظهار بعض الإشارات التي تكون ظاهرة ، و لكن غير متمكن في الآن ذاته من الوصول إلى بعض الإشارات غير الظاهرة . و تتوضح هذه الفكرة أكثر من خلال وصف الإشارات التي سيذكرها بأنها " ظاهرة " ، دلالة على أن المعنى الإشاري أنواع

1- ينظر : فهرس المصطلحات النقدية و البلاغية ، ص 650 .

حسب درجتها من الوضوح و الخفاء ، ففيه ما هو من الوضوح ما يكون جليّا ظاهرا قريب المأخذ يسهل الوصول إليه ، و فيه ما هو من اللطف ما يكون خفيا مستترا بعيد المنال ، لا يميّزه إلا الناقد الحصيف ، الذي تثقفت ملكة النقد عنده بمعارف موسوعية .

و من بين الإشارات الظاهرة و المستترة ، اقتصر الشارح على ذكر ما كان من مراد الشاعر فقط : " و يحتمل كلام الناظم من الإشارات وجوها غير ما ذكرنا ، لكن شأننا الإختصار و الإشارة إلى أول المراد " [1] . و كان الدافع وراء هذا ما اشترطه الشارح على نفسه من الإختصار ، تفاديا للملل الذي قد يطال القارئ : " و قصدت في كل ترجمة إلى أقل ما يمكن إيثارا للإختصار ... خشية السآمة و التكرار " [2] أسوة بما عهد عن الجاحظ في كتاباته .

إن الإشارات ، حسب ابن مرزوق ، هي في تدرجها من إشارات واضحة ظاهرة إلى أخرى لطيفة مستترة ، تُشَكِّل سلسلة من المعاني التي ترتكز في مبتدئها إلى المعنى التفسيري الأول ، و تترقى إلى منتهاها في مسارات التأويل ، فينتج هنا : كلما اتسعت الإشارة ضاقت العبارة[3] . يقول ابن مرزوق « و الكلام في الإشارات لا تفي به العبارات فيكفي الإقتصار على أدناها إذ لا سبيل إلى منتهاها ، و إنما سميت الإشارة إشارة لأنها معنى يغني عن العبارة ، و في الإشارات ما يغني عن الكلم » [4] . و القصد من " لا سبيل إلى منتهاها " ليس عدم انتهاء المعاني الإشارية ، و إنما انعدام إمكان الوصول إلى هذا المنتهى الحاصل بالضرورة .

إن هذا الترقي في المعاني من التفسير إلى التأويل ، هو الفضاء الثاني الذي يبلغ فيه الشرح قمته ، غير أنه في هذا المستوى ليس ناتجا عن اعتماد مقاييس نقدية ، ولا عن توظيف أدوات إجرائية ، و لكنه ولادة ثانية للنص الشعري ، و إبداع يتخذ من النص الأول منطلقا ملهما له . وللوقوف على هذا نستعرض أنموذجا من إشارات البيتين الأولين:

1- (أ): [و63] ، الكتاب المحقق ، ص 115 .

2- (أ): [و1] ، الكتاب المحقق ، ص 61 .

3- يقول النفري: (كلما اتسعت الرؤيا ضاقت العبارة)، ينظر: محمد بن عبد الجبار النفري: كتاب المواقف والمخاطبات تح: آرثر أربري ، تقديم: عبد القادر محمود ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 1985 ، ص 115 .

4- (أ): [و85] ، الكتاب المحقق ، ص 96 .

أَمِنْ تَذَكُّــرِ جِيــرَانٍ بِذِي سَلَمِ　　　مَزَجْتَ دَمْعــاً جَرَى مِنْ مُقْــلَةٍ بِــدَمِ
أَمْ هَبَّتْ الرِّيـحُ مِنْ تِلْقاءِ كَاظِمَةٍ　　　وَ أَوْمَضَ البَرْقُ فِي الظَّلْمَاءِ مِنْ إِضَمِ

يقول:

«... و يحتمل أن يكون تنبيه الله تعالى إياك ببكاء الناظم من أجل تذكر الجيران بذي سلم ، أن يبكي خوفا أن لا يكون مجاورا لأهل الجنة لأنهم الكائنون بــذي سلم ، فإن الجنة دار السلام ﴿ وَاللّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلاَمِ ﴾[1] ... و أن يكون من أهل النار ، و كــنّى عنها بكاظمة فإنها تطبق على أهلها و تكظمهم »[2] .

إن مادة الإشارات منحصرة في المعاني و القيم الصوفية ، التي ترسم صورة واضحة عن تصوف ابن مرزوق الحفيد . و هو تصوف سنيّ منضبط مع أصول الدين .

كما نتلمس تأثــّر ابن مرزوق بأسلوب الحكم العطائية ، و هي حكــم الصوفي العــارف ابن عطاء الله السكندري (ت 709 هــ) . من تأثره بها راح يكتب على منوالها و يــورد من نصوصها في بعض المواضع ، مستشهدا على المعاني التي يذهب إليها و مدللا .

4- ابن مرزوق و التراث النقدي و البلاغي :

يقف الناظر في " إظهار صدق المودة " على حقيقة سعة اطلاع ابن مرزوق علــى كتب البلاغة و النقد و الأدب ، و يدرك تمكــنه من دقائق العلوم و استقصاء مــسائــلها و يتجلى ذلك في أسماء الأعلام الذين نجد لهم ذكرا في " الإظهار " ، كمــا يتجلــى فــي النقولات العديدة التي ضمنها فيه .

و إن كان ابن مرزوق يذكــر بعض الكــتب التي اتخذها مراجع لــشرحه ، كالإيــضاح و تلخيص مفتاح العلوم للقزويني و المثل السائر لابن الأثير ، و كتبا أخرى فــي اللغــة و البلاغة و كتبا منوعة في علوم عدة[3] ، إلا أنه كان قليلا ما ينسب القول إلــى صــاحبه فيكــتفي بعبارة " قال بعضهم ... " . و يتصرف بأسلوبه الخاص فينقل الــرأي و لــيس العبارة الحرفية ، و يذكر أحيانا الرأي لصاحبه دون الإشارة إلى المصدر الذي أخذ منــه

1- سورة يونس ، الآية 25 .

2- (أ): [و9] ، الكتاب المحقق ، ص 82 .

3- ينظر : فهرس الكتب المذكورة في الشرح ، ص 656 .

خير مثال على ذلك كتاب (الكشاف) للزمخشري ، الذي استفاد منه الشارح بشكل كبير على نحو ما يتجلى في الشرح ، إذ ورد اسم الزمخشري 15 مرة ، غير أن مصدر النقل عنه لم يُذكر إطلاقا . و بمثل هذا كان يصعب في كثير من المواضع تمييز المصدر الذي استعار منه هذه الآراء ، ناهيك عن شروح البردة التي علق عليها بالموافقة أو الإعتراض و لم يُعيّنها .

ممن جاء ذكرهم في الكتاب من النقاد و علماء البلاغة نذكر مثلا : القزويني والسكاكي و الزمخشري و الجاحظ و عبد القاهر الجرجاني و ابن قتيبة و ابن رشيق و حازم القرطاجني و أرسطو و الأخفش و ابن الأثير و ابن المعتز [1] .

سبق أن رأينا في دراسة الخلفية المعرفية لابن مرزوق ، أنه دارس موسوعي محقق لعدة علوم ، فقد استوعب أمهات الكتب العربية على اختلاف مدارسها العلمية و الفكرية و العقائدية . و هي كتب مشرقية (لأسباب تاريخية ليس هذا موضع استعراضها) ، كما اهتم غاية الإهتمام بمؤلفات علماء بيئته المغاربية و الأندلسية و اطلع على الفكر اليوناني ، فنجده يسوق تعاريف أبقراط و أرسطو ، و منها مثلا قول أرسطو في حقيقة العشق: « و قال أرسطو : العشق ضرورة داخلة على النفس ، و العاشق جاهل بمسلك الضرورة الداخلة عليه.. » [2] .

في هذه المسافات الممتدة ، كان مسار ابن مرزوق في الشرح . إنه يدير حوارا تفاعليا يجمع بين الآراء المختلفة ، يستعرضها الواحدة بعد الأخرى مناقشا أدلتها و مرجحا أحيانا ، و غير مرجح في كثير من الأحايين ، و ما حشده في مستويات البلاغة يسمح لنا بالقول إن الإتجاه النقدي الذي ينتمي إليه ابن مرزوق هو اتجاه جَمْعِيّ توفيقي يوحّد هكذا بين مختلف الإتجاهات البلاغية المتعددة : بيان الجاحظ مع نظم عبد القاهر الجرجاني ، و القراءة البلاغية للسكاكي و القزويني مع بديع ابن المعتز و عمدة ابن رشيق ، دون إغفال رأي متفرد لواحد من العلماء في مسألة جزئية معينة .

1- ينظر : فهرس الأعلام ، ص 678 .

2- (أ): [ظ65] ، الكتاب المحقق ص 121 .

من أمثلة هذا التوجه الذي اعتمده ابن مرزوق عند الشرح ، وقوفه مع مصطلح الإلتفــات فأشار إلى الإختلاف الحاصل في تصنيفه ضمن علوم البلاغة الثلاثة ، و الفروق بين هذه التصنيفات ، و قدم تعريــفات المصطلح على اختلافاتها مع الشواهد الشارحة[1] .

من الأمثلة كذلك ، موقف ابن مرزوق من الحشو فــي الكــلام عمومــا و الــشعر خصوصا ، يظهر فيه أكثر جرأة ، إذ لم يكتف بالتعليق على الآراء ، بــل بتقــديم رأيــه الخاص مع إقامة الحجة له بالدليل القاطع و الشاهد المؤيد ، فيرفض الحكم على الحــشو بأنه من مساوئ الكلام كما رأى ذلك علماء المعاني من متأخري المــشارقة ، بــل يعــدّه واحدا من المحسنات البديعية التي يجب التنــبّه لها ضــمن علــم البــديع ، لأن للحــشو مقصدية في الكلام و فائــدة في المعنى لا تــتم إلا به[2] .

أما عن مدى تأثر ابن مرزوق بعلماء بيئته المغاربية و مؤلفاتهم ، فلا نملــك مــا يؤكد ذلك صراحة ، إلا أننا بالمقابل لا نعدم – بالنظر في مؤلفاته و في " إظهار صــدق المودة " – إشارات تدل على هذا التأثر ، فاستشكاله للإختلاف الحاصــل فــي تــصنيف الأجناس البلاغية ضمن علوم البلاغة الثلاثة ، هو الإستشكال ذاته الذي قام عليه تــصور هذه المدرسة المغاربــية ، كما تجلى ذلك في (منهاج البلــغاء و سراج الأدباء) لحــازم القرطاجني و (المنزع البديع في تجنيــس أساليب البــديع) للــسجلماسي و (الــروض المريع في صناعة البديع) لابن البناء المراكشي .

و نلحظ في " الإظهار " عناية ابن مرزوق بنفسية المتلقي للنص الشعري ، فيعدد مواضعَ ينبغي للشاعر " أن يتأنق فيها " ، من ذلك تحسين الإستهلال في أول القصيــدة :

« براعة الإستهلال ، و تسمى بــراعة المطلع و حسن الإبتــداء ، و هــو أن يأتي في أول القصيدة أو الرسالة أو الخطبة بما يدل على مقصود المتكلم ، مع سهولة اللــفظ و صحة السبك ، و وضوح المعنى و تجنب الحــشو ، و رقــة التشبيه في الشعر و تــناسب القسمين ، و أن لا يكون البيت متعلقا بما بعــده و هذا المقــام من المواضع التي ينبغي للمتكلم أن يتــأنق فيها ، لأن الإبتــداء

1- (أ): [ظ3 / و4] ، الكتاب المحقق ص 69 .

2- (أ): [و7] ، الكتاب المحقق ص 77 .

إذا كان حسنا أقبل السامع على ما بعد »[1] .

و يضيف قائلا في ما يستحسن أن تُختم به القصائد ، بحيث يكون ملائما للنفوس :

« و في هذا البيت و الذي قبله براعة الختام ، و سمَّاه بعضهم حسن المقطع و بعضهم حسن الخاتمة ، وهو في الشعر عبارة عن ختم القصيدة بأجود بيت يحسن السكوت عليه ، لأنه آخر ما يبقى في الأسماع ، و ربما حفظ دون غيره لقرب العهد به ، فإن كان مختارا جبر ما عسى أن يقع قبله من التقصير ، و إن كان غير مختار كان بخلاف ذلك ، و ربما أنسى محاسن ما قبله ، و الأعمال بالخواتم »[2] . و الشاهدان يشبهان إلى حدّ بعيد قول حازم القرطاجني في المنهاج :

« و تحسين الإستهلالات و المطالع من أحسن شيء في هذه الصناعة ... تزيد النفسُ بحسنها ابتهاجا و نشاطا لتلقي ما بعدها ... و ملاك الأمر في جميع ذلك أن يكون المفتتح مناسبا لمقصد المتكلم من جميع جهاته »[3] . عدّد القرطاجني ما يُطلب في الإستهلال من تحسين الألفاظ و المعاني ، بما يوافق ما سبق مع ابن مرزوق .

و في تحسين خواتم القصائد يقول القرطاجني :

« أما الإختتام ... ينبغي أن يكون اللفظ فيه مستعذبا و التأليف جزلا متناسبا فإن النفس عند منقطع الكلام تكون متفرغة لتفقد ما وقع فيه غير مشتغلة باستئناف شيء آخر »[4] .

لا يخفى ما بين نصوص ابن مرزوق و القرطاجني من تقارب و تشابه ، يُدلِّل على إفادة الأول من الثاني . يتجلى ذلك في المضمون كما في أسلوب الكلام و عباراته . من ذلك أيضا قول ابن مرزوق ، حينما يتكلم عن الْتِذاذ المتلقي بالإيضاح بعد الإبهام :

«... الإيضاح بعد الإبهام ، و هو من الإطناب ، و من فائدته أن النفس عند ذكر أوصاف عظيمة لم يذكر معها الموصوف تتشوّف إلى ذكره ، و تتألم لعدم

1- (أ): [ظ6] ، الكتاب المحقق ، ص 75 / 76 .

2- (أ): [ظ21] ، الكتاب المحقق ، ص 637 .

3- حازم القرطاجني : منهاج البلغاء و سراج الأدباء ، تح : محمد الحبيب بن الخوجة ، دار الغرب الإسلامي ، ط3 بيروت 1986 ، ص 309 / 310 .

4- القرطاجني : منهاج البلغاء ، ص 306 .

علمها به ، فإذا ذُكــر زاد ألمها و الْتــذّت أكثر مما بيّن ابتــداءً ، و كذا قيل الحاصل بعد الطلب ألــذّ من الحاصل بلا تعب »[1] .

ليس بعيدا عن ابن مرزوق أن يكون اطلع كذلك على كتاب (الروض المريع في صناعة البديــع) لابن البناء المراكشي ، فمن مؤلفاته (ابن مرزوق) منظومة تعرف بــ(رجــز تلخيص ابن البناء) ، الذي سبق أن أشرنا إليه .

و في السياق نفسه ، لا بــد من الإشارة إلى التقارب المنهجي بين ابن مرزوق في " الإظهار " و القاضي عياض (ت 544 هــ) في كتابه (بغية الرائد فيما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد) ، الذي تناول فيه بالشرح حديثا نبــويا ، عني فيه بجوانب لغـــوية و بلاغية و نقدية ، فــدرس غريب اللغة و النحو ، و اهتم بالتراكيب ، و تناول المعنـــى بالسرد و التحليل ، مع عناية بأسلوب الصياغة الجمالية في مباحث البلاغة[2] .

لا يذكر ابن مرزوق من كــتب عياض، التي ينقل عنها إلا (الشفــاء) ، غير أن ذلك لا يستبعد اطلاعه على (بغية الرائد) و تــأثره به ، إن لم يكن فــي مادتــه ففــي منهجه. فابن مرزوق ينقل في أغلب الأحيان من مصادر لا يذكرها و لا يذكر أصــحابها كذلك .

إن المنحى الذي سار عليه ابن مرزوق في الشرح و الصور الإبداعية التي حرص على تبيــينها في القصيدة ، اتفقت مع ما نص عليه المرزوقي عند حديثه عــن المعــايير التي يجب توافرها عند المبدع ، التي هي : شــرف المعنى و صــحته و جزالــة اللفــظ و استقامته و الإصابة في الوصف و المقاربة في التشبيه و التحام أجزاء النظم و التئامها على تخير من لذيذ الوزن و مناسبة المستعار منه للمستعار له و مشاكلة اللفــظ للمعنـــى و شدة اقتضائها للقافية حتى لا منافرة بينهما[3] .

من اللافت أيضا أن ابن مرزوق يقدم في مواضع متفرقة من الكتــاب ملاحظــات بلاغية ، إذ يقترح مصطلحات جديدة ، يستثمرها من تفطنه لبعض المعاني التي لا تــدخل

1- (أ): [ظ50] ، الكتاب المحقق ، ص 232 .

2- محمد مرتاض : النقد الأدبي القديم في المغرب العربي ، ص 222 .

3- ينظر: أبو علي المرزوقــي ، شرح ديــوان الحماسة ، ج1 ، تح: عبد الســلام هارون و أحمــد أمــين ، لجنــة التأليف و الترجمة و النشر ، ط2 ، القاهرة 1965 ، ص 9 .

في باب مصطلح آخر ، من ذلك اقتراحه مصطلحي الإحالة و التوفيض في قوله " و لـــو سميّ نحو قوله فأنت* إلى آخره بالإحالة أو التفويض أو بهما لكان لقبا " (1) .

إن ابن مرزوق في جمعه بين مختلف المذاهب البلاغية و استعراض آراء أعلامها باتجاهاتهم المختلفة ، مقارنا في كل ذلك ، مستفيدا من الناتج الكلي المتراكم ، قـــد أثبـــت شخصيته العلمية و أسلوبه المتفرد ، مرسيا طريقته المبتدعة في تذوق النصوص الشعرية و التلـــذذ بها .

5- أثـــر طريقة ابن مرزوق في شرح النصوص الشعرية :

أثار " إظهار صدق المودة " إعجاب العلماء و الفضلاء ، منهم المقري الذي قـــال في (نفح الطيب) في ترجمة ابن مرزوق «... أما تواليفه فكثيرة ، منها شروحه الثلاثـــة على البردة ، و سمى الأكبر إظهار صدق المودة في شرح البردة ، و استوفى فيه غايـــة الإستيـــفاء ، و ضمنه سبعة فنون في كل بيت »(2) .

كما أن أبا مكتوم المغربي الجعفري قـــام بتدريس " الإظهار " خلال شرحه للبردة في مجالسه العلمية : « و كان يأتـــي فيه بالعجائب و الغرائب ، و ربما يمر عليه الأيـــام في البيت الواحد منها بمراجعة شرحها لابن مرزوق »(3) .

قام تلميذ تلميذ ابن مرزوق ، و هو عبد الرحمن بن علي بن عبد الله البجائي تلميذ عبد الرحمن الثعالبي، باختصار إظهار صدق المودة: «في جزئين ، أي نحو الثلثـــين مـــن الأصل ، و قد سمى البجائي كتابه مرّة إختصار إظهار صدق المودة في شـــرح البـــردة و مرّة مسارح الأنظار و منتزه الأفكار في حدائق الأزهار ... و قد اتّـــبع البجـــائي فـــي شرحه منهج ابن مرزوق ، فكان يشرح غريب الألفـــاظ ، و يفـــسر المعنـــى المقـــصود و يوضح معاني خواص الكلام المستعمل ، و يبين وجوه التراكيب و الحقيـــقة و المجـــاز

* المقصود قول البوصيري : فأنت تعرف كيد الخصم و الحكم .

1- (أ): [و28] ، الكتاب المحقق ، ص 186 .

2- المقري : نفح الطيب ، ج7 ، ص 402 .

3- محمد أمين المحبي: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ج3، مكتبة خياط ، بيروت 1966 ، ص 241.

و يذكر ألــوان البــديع و محاســن الألفــاظ و المعــاني ، و يــأتي علـــى الإعــراب و يلـــمّ بالإشارات الصوفية ، و يشير إلى مقصد الناظم »[1] .

و ممن تأثر كذلك بابن مرزوق و بكتابــه " إظهـــار صـــدق المــودة " ، محمــد الإفــراني (ت 1138 هــ) في شرحه لموشح ابن سهل الأندلــسي " هــل درى ظبـــي الحمى " . ســمّى شرحه (المسلك السهل في شرح توشيح ابن سهل) . اتبع فيه مــنهج ابن مرزوق حرفيا .

6- قضايا نقدية و بلاغية عارضة في الكتاب :

بغرض استكمال الصورة التي نقــدم من خلالها عمل ابن مرزوق فـــي " إظهـــار صدق المودة " ، نورد بعض المسائل العارضة في الكتاب :

- **تعريف الشعــر :**

لم يكن حديثه عن الشعر أولوية في مؤلفه ، و إنما ساق إليه الحديث عرَضـــا عنــد شرحه بيتا من القصيدة تُذكر فيه كلمة (شعر) ، فبدأ بالتعريف اللغوي للكلمـــة و أعقبـــه بكلام ابن رشيق في (العمدة) عن سبب إطلاق تسمية " شعر" فقال:

« قال ابن رشيق : سمي شعرا لأن العرب شعرت به أي فطنت لـــه ، قـــال: و كان الكلام كله نثرا ، فاحتاجت العرب إلى الغناء بذكر محاســنها و أيامهـــا فترسموا أعاريض جعلوها موازيـــن للكلام، فلما تَـــمَّ لهم وزنه سمّوه شعـــرا لشعورهم بـــه »[2] . و لم يُعقِـــب هذا النص بتعليق أو توسع في الكلام ، بل ساقـــه في شكل الخبر الثابت . و هو بهذا لا يختلف عن أغلب النقاد و المؤرخين الذين يـــرددون عبارة ابن رشيق بمطلق التسليم . ثم يتحول لتقديم التعريف الإصطلاحي للشعر :

« و حقيقة الشعر في اصطلاح أهل الأدب : الكلام الموزون الذي قصد وزنه فارتبط لمعنى و قـــافية ، و تجاذبته أربعة علوم: علم الأوزان و علم القـــوافي

1- أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1 ، ص 68 / 69 .

2- (أ): [ظ198] ، الكتاب المحقق ، ص 569 . و ينظر: الحسن بن رشيق : العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده ج1 ، تح: محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل، ط5 ، بيروت 1981 ، ص 20 .

و علم البـــلاغة و علم النقـــد »[1]. لا يذكر ابن مرزوق صاحب هذا التعريف ، ما يجعل القارئ يظن أول الأمر أنه له ، لكن تبيَّـــن لي – بعد الرجوع إلى كتابـــه الآخـــر (المفاتيح المرزوقية) – أن الجزء الأول من هذا التعريف ليس له . ففي نسخة مخطوطة لهذا الكتاب ، الذي شرح فيه منظومة الخزرجية في العروض ، يقول في تبيـــان الدلالـــة الإصطلاحية للشعر :

« و أما حده اصطلاحا ، ففي كلام ابن بري ... : قال شيخنا أبو بكر : الكلام الموزون الذي قصد وزنه ، فارتبط لمعنى و قافية ، فـــ**الموزون** يُخرج غيـــره و الوزن تساوي نسبتين عددا و ترتـــيبا ، و **قُصِد** يُخرج ما لا يُقصد وزنه كما في آي من القرآن و شيء من كلامه صلى الله عليه و سلم ... و **ارتبط لمعنى و قافـــية** يُخرج ما لا معنى له من الكلام الموزون.. »[2] . يأخـــذ ابن مرزوق هذا التعريف نقلا عن ابن بـــري[3] ، الذي ينقله هو الآخر عن شيخه أبي بكر[4] . إن اختيار ابن مرزوق هذا التعريف بالذات يدل أنه ارتضاه من بين التعريفـــات التراثيـــة المختلفـــة للشعر ، و فيه أولا إشارة إلى الإختلاف الحاصل في تعريف الشعر فيقدم ما تعارف عليه أهل الأدب . و أول صفة للشعر من حيث هو شعر عندهم هي قصدية الوزن فيه . فما لم يُقصد وزنه ليس شعرا و إن اتّزن ، ثم لا بـــد من وجود رابطة بين قُطبيْ الكلام الشعري حتى يكون شعريا . و قطبا الشعر هما المعنى و القافية . و بصياغة أخرى :

الشعر عند ابن مرزوق هو تلك المعاني التي قُصِد التعبيـــر عنها بكلام موزون مقفـــى.

و الأهم هنا ، هو مراعاة جانب المعاني الذي طالما أهمله كثير ممن تصدوا للكـــلام فـــي الشعر ، و لم ينظروا إليه برؤى أهل الأدب .

1- (أ): [ظ198] ، الكتاب المحقق ، ص 569 .

2- " المفاتيح المرزوقية لحل الأقـــفال و استخراج خبـــايا الخزرجية " لابن مرزوق الحفيد ، المخطوط ذو الرقم 489 بمكتبة جامعة الرياض ، الورقة 2 .

3- عبد الله بن بري بن عبد الجبار المقدسي المصري ، نحوي شهير (499 – 582هـ) .

تنظر ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، ج4 ، ص 73 .

و محمد بن أحمد الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج 21 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت 2001 ، ص 136 .

4- هو أبو بكر محمد بن عبد الملك بن السراج الشنتمري ، وذلك حسب ما في نفح الطيب في ترجمة أبي بكر بن السراج " أنه أستاذ أبي محمد عبد الله بن بري المصري اللغوي النحوي" (نفح الطيب، ج2، ص238) و كذلك ما جاء في سير أعلام النبلاء للذهبي في ترجمة ابن بري ، بأنه " قرأ الأدب على أبي بكر محمد بن عبد الملك " (ج21 ، ص 136) .

- **التـــأنّق في الكلام :**

عُنِيَ ابن مرزوق -كما ذكرنا سابقا- بتحسين هيئات الكلام لتكون ملائمة لنفسية المتلقي ، و نبّه على وجوب ذلك في مواضع مخصوصة من القصيدة ، منها الإستهلال في المطلع و التخلص من غرض إلى آخر و تحسين خواتم القصائد . و أتى في ذلك بأحكام عامة تصدق على الشعر و الخطابة على حد السواء ، موجها الكلام فيها للمتكلم و الخطيب و الشاعر . و قد قدمنا أعلاه ما خصصه من ذلك لتحسين مطالع القصائد و خواتمها فيما يسمى ببراعة الإستهلال و براعة الختام . و فيما يأتي يذكر ابن مرزوق مواضع أخرى ، يُطلب فيها تحسين هيئات الكلام لتكون ملائمة للنفوس ، منها خروج المتكلم مما قدم في كلامه إلى المقصود و الإفصاح بالمطلوب . و يندرج ضمن حسن التخلص: « و معناه أن يكون الإنتقال مما سبق الكلام به من نسيب أو غيره إلى المقصود ملائما ، لأن السامع يرتقب الإنتقال إلى المقصود ، فإن كان حسنا ملائما لما كان فيه أصغى لما بعده ، و إلا فلا »[1] .

يضيف ابن مرزوق في موضع آخر بالتطبيق على البيت المشروح ، أن حسن التخلص: « من الأماكن التي يجب أن يتأنق الخطيب فيها أو الشاعر كما قدمنا ، و بلا شك أن في إتيان الناظم به هكذا حسنا زائدا و لطافة بيّنة ، فإنه خرج من تشبيبه الذي هو التغزل في ذكر الحب و العاذل ، إلى أن خرج إلى ذكر عذل الشيب ، و انتقل به إلى الوعظ »[2] . و ينبّه إلى أنه ذكر القليل من : « المواطن التي ينبغي أن يتأنق فيها و ليس هي بمحصورة في الثلاثة أو الأربعة على ما تقدم ... و إنما طلب التأنق في تلك على سبيل التأكيد فيها »[3] .

1- (أ): [ظ38] ، الكتاب المحقق ، ص 207 .

2- (أ): [و68/ظ68] ، الكتاب المحقق ، ص 128 .

3- (أ): [ظ226] ، الكتاب المحقق ، ص 617 .

○ **جمال الصورة الشعرية :**

عاب ابن مرزوق على بعض الأدباء جهلهم معاني بعض الصور الشعرية الجميلة حتى أدّى بهم هذا الجهل إلى استبشاع هذه الصور فتركوا توظيفها في أشعارهم . بينما اتجه هو إلى إعادة بعث هذه الصور و منحها وجهها الجمالي المقبول ، في أثناء تحليلها و تبيين وجه الحسن و اللطافة فيها . و كمثال على ذلك نأخذ تحليله لصورة تشبيه العيون بالنرجس إذ بدأ بإيراد أوصاف النرجس كما نص عليها الشريشي في شرحه لمقامات الحريري :

« نبات له قضبان خضر في رؤوسها أقماع ، تخرج نَوَراً ينبسط منها على الأقماع ورق بيض ، في وسط البياض دائرة قائمة من ورق صفر ، فهذه صفة النرجس إذا ذكروه ، و لذلك وصفه كسرى أنوشروان بأنه ياقوت أصفر بين در أبيض على زمرد أخضر ... و قال ابن المعتز :

كأن عيون النرجس الغض بيننا مداهن در بينهن عقيق »[1]

ذكر ابن مرزوق الوجه المقبول الذي يقوم على أساسه التشبيه ، بما يتضمنه من معاني الحسن و الجمال القائم في عيون المرأة ، مردفا ذلك بتعرية جهل بعض النقاد و أوهامهم ممن رفضوا هذا التشبيه واستبشعوه ، ذاكرا خطأهم و مبرزا الصواب في ذلك :

« يَحسُن التشبيه بالنرجس قبل تفتح تلك الأوراق البيض على النَوْر الأصفر الذي في وسطها ، أو بما هو التحقيق عندهم في تشبيه العيون بالنرجس و ذلك في تدوير النَوْر الأصفر ، فإنه يشبه بتدوير سواد العين و الأوراق البيض المتفرقة التي دارت به بالأشفار و الأجفان والأهداب ، و تشبه به أيضا العيون في الفتور و الإنكسار ، و لخفاء هذا المعنى أعني وجه تشبيه العيون بالنرجس على كثير الأدباء أنكروا تشبيهها به و استبشعوه ، بناء منهم على أن المقصود من تشبيهها به إنما هو اللون و لا حسن في صفرة العين »[2] . و بمثل هذا التحليل الفني

1- (أ): [ظ112] ، الكتاب المحقق ، ص 416. و أبو العباس أحمد الشريشي: شرح مقامات الحريري البصري، ج1 المكتبة الثقافية ، بيروت (د.ت) ، ص 53 .

2- (أ): [و115] ، الكتاب المحقق ، ص 421 .

تناول ابن مرزوق أوجه الجمال القائمة في الصور الشعرية كاشفا بنيتها و مبينا مكامن الحسن فيها .

- **توثيق نص القصيدة بالرواية الشفاهية :**

منح ابن مرزوق أهمية بالغة لضبط نص قصيدة البردة و توثيقه ، جاعلا الأولية و الصدارة في ذلك للرواية الشفاهية ، و مؤخرا ما كان مدونا في الصحائف و الكتب .
وهو بهذا لا يخرج عن ما كان سائدا عند النقاد سلفا، الذين ميّزهم «الاعتداد بالرواية الشفوية ، و تفضيل أخذ العلم بواسطتها على أخذه من الصحف المدونة التي كان يراها العلماء عرضة للتصحيف و التحريف ، في حين تعد الرواية الشفوية آمن في عملية نقل النصوص و المحافظة عليها و على أدائها دون تشويه »[1]. و قد بلغ في تحرّيه اعتماد النص الصحيح الثابت، درجة من الصرامة العلمية ، بحيث مارس إجرائيا تقسيم الرواية الشفاهية صنفين :

1- رواية العلماء ، و عدّها أوثق ما يصح به النص و أثبت . ساق بعضا من أسانيد رواياته المتعددة لقصيدة البردة . و الملاحظ أنها عن علماء مشهورين . و في مقدمة الكتاب يستحضر روايته قائلا: « حصلت لي رواية القصيدة المذكورة من غير طريق نذكر بعضها لمن أراد حملها عني »[2] . ثم استعرض من الأسانيد ما يتصل بصاحب القصيدة نفسه ، و أثبت أسماء المرويّ عنهم من العلماء الأعلام و حلَّاهم بألقاب تدل على مراتبهم العلمية و نزاهتهم ، منها " الشيخ العلامة المحدث المكثر الحافظ " ، و " الإمام العلامة المحدث الروَّاية " ، و " العلامة قاضي القضاة " . كما ذكر أهم إجازاته برواية القصيدة و هي خَمْسٌ تتصل بقائلها أيضا .

2- رواية العامة من الناس . جعلها في درجة واحدة مع النسخ المدونة ، التي قد يُظَنُّ بصحتها ، و عدّهما مما لا يُؤخذ به ، فأسقط أبياتا توجد في النسخ الخطية ، و لم يشر لذلك إطلاقا . كما ذكر تسعة أبيات ضمّها في مجموعة واحدة و لم يشرحها إلا لانتشارها

1- الشريف مريبعي : توثيق رواية الشعر في النقد العربي القديم ، مقالة في مجلة التراث العربي ، العدد 98 منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق 2005 ، ص 50 .

2- (أ): [ظ1] ، الكتاب المحقق ، ص 62 .

بين الناس ، مراعيا بذلك الذوق العام فقط :

«... هذه الأبيات التسعة ، تقع في بعض نسخ البردة التي بالمغرب في هذا المحل و ليست بثابتة في روايتنا ، و ذكر بعض الثقات من أصحابنا أن الذي زادها فـي القصيد الإمام الفاضل أبو علي بن الجياب الأندلسي الغرناطي ... و كنت سمعت أيضا أن الأبيات لبعض الفاسيين فالله أعلم ، و لولا اشتهارها في الناس منـسوبة إلى هذه القصيدة المباركة ما تصدينا لشرحها، إذ لم تثبت في روايتنا... فلذا ترى كلامنا عليها في الفصول خفيفا »[1] .

من المقاييس التي اعتمدها النقاد التراثيون في التثبت من الرواية و ترجيحها، التي تتمثل بصورة مجملة في استقراء النصوص و فحصها من حيث سلامة العروض و قواعد النحو و تناسق الأسلوب و اطراد المعاني بسياقاتها مع مراعاة الألفاظ و فقه اللغة[2] . أَوْلى ابن مرزوق غاية اهتـمامه للمعاني و الأسلوب ، من ذلك قوله معلقا على بيت من التسعة المذكورة سابقا بعدما قـدّم معناه :

«... ثم لا يخلو من تكلف و تعسف ، و هكذا الشأن في أكثر ما أدخل فـي هـذا القصيد المبارك مما ليس للناظم ، لا يناسب المعاني التي قصد الناظم إلا بتكلـف و في هذا ما يدلك على مكـانة هذا الناظم ... فإن كلامه مطرد المعاني متنـاسق الإرتباط سهل المأخذ »[3]. و يتكرر مثل هذا في مواضع متفرقة من الشرح ، يذكـر ما سمعه برواية أخرى أو رآه في نسخة مدونة بلفظ مختلف ، فيبسط وجوها من المعاني تستفاد من كل رواية أو لفظ مغاير ، ثم يبرز أفضلية نص الرواية الثابتة عنده ، و يبرهن عليها فنيا .

1- (أ): [و111] ، الكتاب المحقق ، ص 413 .

2- ينظر : الشريف مريبعي ، توثيـق رواية الشعر في النقد العربي القديم ، ص 51 .

3- (أ): [ظ189] ، الكتاب المحقق ، ص 553 .

خاتـمة

سمح تحقيق و دراسة مخطوط ابن مرزوق الحفيد التلمساني " إظهار صدق المودة في شرح البردة " بالتوصل إلى نتائج تتمثل إجمالا في التعرف على العناصر المكونة للجهاز النقدي للمؤلف ، و الإحاطة بالتصور المنهجي الذي يقوم على أساسه الشرح و بالمسائل البلاغية و الجمالية التي يتوقف عليها تذوق النص الشعري عنده .

تبين لي من خلال هذا أن عمل ابن مرزوق يقوم على خطة محكمة ، إذ حاول أن يحيط بالجوانب اللغوية المعجمية و الصرفية و الجوانب التركيبية النحوية مع التركيز على الجوانب البلاغية ، إضافة إلى إثارة كل ما تعلق بمعاني النص و ظروفه من مسائل مختلفة ، في منحى بلاغي لساني تناصي .

بمثل مستوى هذا العمل ، يعد ابن مرزوق عَلَما من أعلام النقد الأدبي التراثي في الجزائر و المغرب العربي ، و واحدا من أعلام مدرسة الدراية و الممارسة (في مقابل مدرسة الرواية و التبعية) . كما أن كتاب " إظهار صدق المودة " يمثل معلما في دراسة حركة النقد الأدبي في المغرب العربي عموما و الجزائر على وجه أخص ، و هو إذ يتناسق مع ما كان سائدا عند العلماء المغاربة و الأندلسيين في تآليفهم ، التي تجمع من المادة اللغوية و البلاغية و الفوائد الأدبية و التاريخية قدرا وافرا ، إلا أنه يثبت تميّـزه منها من خلال قيمته المنهاجية التأطيرية و قيمته التحليلية ، اللتين تكشفتا في أثناء هذه الدراسة .

القسم الثانـي

الكتـاب المحقق

إظهار صدق المودة في شرح البردة

لأبي عبد الله محمد بن مرزوق الحفيد التلمساني

766 - 842 هـ

[مقدمة المؤلف]

[بسم الله الرحمن الرحيم
و صلى الله على سيدنا و مولانا محمد و آلــه و صحبه و سلم تسليما

قال الشيخ الإمام : الحمد لله الذي أفضل فعَمَّ إفضاله ، و أنعم فتَمَّ نوالــه ، و غفــر الذنوب فتكامل إحسانه ، و ستر العيوب فتواصل غفرانه ، أحمده على ما منح مــن المــنن وأشكره على ما وفق من اتباع ما رضي من السنن ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة من اختار لتوحيده و جعله من خيار عباده ، و أشهد أن محمدا عبده و رســوله سيد الكونين و رسول رب العالمين إلى الثقلين ، صلى الله عليه و سلم وعلى آله و أصحابه و أزواجه و ذرياته صلاة تزحزح عن النار ، و تنيل من تنعيم الأبرار ما تقر به العيون .

أما بعد : فإن من نعم الله علينا أيتها الأمة المحمدية التي لا تحصى ، و مواهبه لدينا التي لا تعــد و لا تستقصى ، النعمة الكــبرى ، و الشرف الزائــد على كل شرف في الدنيا و الأخرى ، ما خصصنا به من اتباع ملة سيد البشر و شفيع الخلائق في الحشر ، و رافــع لواء الحمد يوم العرض الأكبر ، محمد مختار الله الذي لا يعرف حد ما أوتي مــن الفــضل الحاصل و الشرف المدخر ، نجانا الله من مهالك الضلالة ، و أنقذنا على يديه مــن عمــى الحيرة و الجهالة ، مشفق من إذايتنا حريص على سلامتنا من الآفات و هدايتنا ، نقتحم فــي النار فيأخذ بحجزتنا ، و نتباعد عن الجنة فيردنا إليها بما هو كالآخذ بناصيتنا ، ما ترك شيئا يقربنا من النار إلا حذرنا من قربه ، و لا شيئا يدنينا من الجنة إلا أغرانا بتحصيله و كــسبه مهتم بأمورنا في المحيا و الممات ، مستغفر للأحياء و الأموات من المؤمنين و المؤمنــات يقول أمتي أمتي حيث يقول كل مصطفى نفسي نفسي ، جــزاه الله عنا أفضل ما جزى بــه و آتــاه الوسيلة و الفضيلة في يوم[1] كان وعده ماتيا .

و لما جعل الله جل جلاله حصول طاعته مقرونا بطاعتــه ، و الإتــصاف بمحبتــه مشروطا باتباعه و محبته ، و أمرنا بنصره و تعزيره ، و كلفنا بتعظيمه و توقيره ، لزمنــا لذلك ، و لما لله علينا من النعم التي لا تتناهى ، أن نصرف همتنا لما كلفنا من ذلك فيه ببلغ من الآراب منتهاها .

و كان من هذه الأمة من كملت نعمة الله عليه في ذلك فقام في إظهار ملته ببذل نفسه و أهله و ماله ، و سلك أنهج المسالك ، و منهم من حظه من ذلك القيــام بحفــظ أحاديثــه و سننه على أمته ، و منهم من دأبه الذب عنها و الحماية من أراد إدخال الداخل في شــريعته و منهم من قصر عن تلك المقامات فاقتصر على مدحه صلى الله عليه و سلم بذكر بعــض البعض مما اشتمل عليه من حميد الصفات ، كل بقدر و سعة طاقته ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَــعَةٍ مِّــن سَعَتِهِ ﴾[2] ، و الكل على نهج قويــم و طريق مستقيم ، و تأمل إن شاء الله الحظ الأوفى من فضل الله العميــم .

1- أول المقدمة إلى هذا الموضع من نسخة (ز) ، مبتور في النسختين (أ) و (ب) ، و هنا تبدأ النسخة (ب) .
2- سورة الطلاق ، الآية 8 .

و كان ممن قــام في هذا المقام الرابع][1] / وهو الحد الضروري ، الـشيخ الإمــام الفقيه [الفقير العارف المتــقن الأديب الناظم]* شرف الدين أبو عبد الله محمد بــن ســعيد بن حماد المصري [البوصيري ، بمدح خير العالمين و سيد المرسلين]* ، بقصيدة أظهرت صدق محبته فيه صلى الله عليه [وسلم و وده ، و كسته حلة البهاء ، فـسماها البــــردة]* و وقعت منه صلى الله عليه و سلم الموقع التام ، [و اعتنى اعتـــناء أظهر له من أجله فـــي المنام]* ، و أسعفه في المطلب الذي اعتنى بتحصيله [2] جميع [الأنام ، و بعده ما يرجــو في الآخرة من الفوز]* بدار السلام ، فتعلق مَنْ بَعْدَه لهذا الفضل [العظيم ، «..........[3] فمنهم]* المعارض و المخمّس و الشارح ، كل بقدر همّته الضعيفة »[4] .

[و1]

و ليس لي من البضاعة ما أحصل [به منها ما إليه النفس تتوق ، فلــم أصــل إلـــى التلذذ]* ببعض ما فيها إلا بالنظر ، و لم أنقلب عن نيل [إدراك ما أنويه من ذلك إلا بالعي و الحصر]* ، حتى دعاني بعض إخواني من الأصحاب إلى التكلم [على ما في القصيدة من ألباب البديع و الإعراب]* فأجبـــته إلى ذلك ، و وضعت فيه مجموعا سميته [بالإســتيعاب فوقع من الإخوان]* لفضلهم موقع التعظيم و التبجيل ، فاستدعوا مني أن أضم إلـــى [ذلـــك المؤلف]* بالشرح ليقع التكميل ، فاستخرت الله لما أرجوه على ذلك من الثواب إن شاء الله تعالى في إسعافهم ، و لم أجد بـــدا من امتثال ما إليه أشاروا و لا سبيلا إلى خلافهم، فوضعت عليها شرحا يذلل من اللفظ صعابه ، و يحط عن[5] وجه المعنى نقـــابه .

و جعلت الكلام على ما أشرحه من أبياتها في سبع تراجم :

أولها [**شرح**][6] **الغريب** في شرح لغات الألفاظ المفردة و ما يتعلق بها من التصريف .

ثم **التفــسير** في شرح المعنى المقصود من تراكيب الجمل .

ثم **المعــاني** في ذكر حكــم[7] خواص الكلم المستعملة في ذلك التركيب دون غيرها إفرادا أو تركيبا .

ثم **البيــان** في ذكر وجوه ذلك التركيب من وضوح دلالته على المعنى المــراد ، و بيـــان الحقيقة منه و المجاز ، و ما ينخرط في سلك ذلك [المعنى][8] من ذلك الفن .

ثم **البديــع** في ذكر وجوه ما في ذلك التركيب من المحاسن اللفظية و المعنوية .

ثم **الإعراب** فأذكر منه الوجوه القوية الظاهرة دون غيرها ، و هي ترجمة معينة على فهــم معاني الأبيات .

ثم **الإشارات التصوفية**[9] ، أذكر منها ما يمكن أن يكون إشارة ظاهرة إلى المعنى المذكور .

و قصدت في كل ترجمة إلى أقل ما يمكن إيثارا للإختصار ، مستغنيا في كثير منهــا عـــن ذكر ما وقع مثله في نظيرها خشية السآمة و التكرار .

1- هنا تبدأ النسخة (أ) ، و ما قبلها مثبت من (ب) و (ز) .

* مطموسة في (أ) بسبب البلى الذي أصاب الجزء الأعلى من الورقة فتم ترقيعه كما يبدو ، و أعيد كتابة ما سقط من موضعه ، و المثبت من (ب) و (ز) .

2- (ب) : أغنى تحصيله .

3- فراغ بقدر أربعة كلمات في (أ) بسبب ترقيع جزء ممزق من الورقة ، ساقط من (ب) و (ز) .

4- سقط من (ب) و (ز) .

5- (ب) : من .

6- زيادة في (ب) و (ز) ، سقطت من (أ) ، أثبتناها لأن الشارح التزمها عنوانا ثابتا فيما بعد من أول الكتاب إلى آخره .

7- سقطت من (ب) .

8- زيادة في (ب) و (ز) ، سقطت من (أ) ، أثبتناها لأن المعنى لا يتم إلا بها .

9- (ب) : الصوفية .

و كانت هذه التراجم سبعا رجاء من المولى العظيم الرحمن الرحيم بجاه هذا النبي محمـــد[1] المصطفى الكريم عليه أفضل الصلاة و أزكى التسليم ، أن تكون كل منها صارفة عن كـــل باب من أبواب جهنم السبعة .

و ربما أضفت إلى هذه التراجم بأثر ترجمة التفسير ترجمة ثامنة ، إلا أني لم أبـــوب لها ، أذكر فيها ما يوافـــق المعنى الذي قصده الناظم من شعر لغيره أو نثـــر ، ليكمل بذلك قصد الشرح و يعظم بفضل الله الأجر ، و المسؤول منه جل و علا أن يصلح في مقاصدها / [1ظ] الســـر و العلانية ، و أن يتم ما فـــتح علينا من نعمة [في هذه التراجم]* بأن يفتح لنا فـــي مقابلة كل منها بابا من أبواب الجنة الثمانـــية ، و أن يسددنا [لطاعته في القـــول و العمـــل و أن يختم لنا]* بالسعادة في المحيا ، و يختم لنا غدا بها عند حلول الأجل ، [إنـــه المـــنعم الكريم التواب الرحيم ، ذو]* الفضل العظيم .

و سميت المجموع المذكور بـــ**إظهـــار صدق المودة في شرح البردة** ، و الله أســـأل أن يجعله خالصا لوجهه ، و أن ينفعنا به و الناظرين فيه في الدنيا و الآخرة ، إنه ولي ذلـــك و المنعم به .

و قد حصلت[2] لي رواية القصيدة المذكورة من غير طريق أذكـــر[3] بعضها لمـــن أراد حملها عني ، من ذلك أني سمعتها بقراءة الشيخ العلامة المحدث المكثر [الحافظ شهاب الدين أبي العباس أحمد الرشيدي المكي ، على الإمام العلامة المحدث] الرحال الراويـــة ذي الفنون الغريبة [و التواليف العجيبة مجد الدين الفيروزآبادي[4]]* من ذريـــة الإمـــام أبـــي إسحاق الشيرازي[5] ، نزيل مكة المشرفة [و الطائف[6] بمنزلة المشرف على جبل]* الـــصفا زاد الله تلك المعالم تشريفا ، و منَّ علينا بالعودة [إليها في قريب إنه سميع مجيب .

و أخبرنا]* بها عن الإمام العلامة قاضي القضاة عز الدين أبي [عمرو عبد العزيز[7] ابن الإمام العلامة قاضي]* القضاة بدر الدين أبي عبد الله محمد بن جماعة الكناني المصري الشافعي[8] عن الناظم .

[و حدثني بها أيضا]* إجازة عن ابن جماعة المذكور ، غير واحـــد مـــن أشـــياخي الأعلام رحمهم الله تعالى و رضي عنهم ، منهم الأئمة الثلاثة المـــصريون حجـــج الإســـلام

1- سقطت من (ب) .

* مطموسة في (أ) بسبب البلى الذي أصاب الجزء الأعلى من الورقة فتم ترقيعه كما يبدو ، و أعيد كتابة ما سقط من موضعه ، و المثبت من (ب) و (ز) .

2- (ب) و (ز) : حصل .

3- (ب) : نذكر .

4- محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر، أبو طاهر، مجد الدين الشيرازي الفيروزآبادي (ت 817 هـ) ، من أئمة اللغة و الأدب ، أشهر كتبه " القاموس المحيط " ، ينظر: خير الدين الزركلي ، الأعلام ، ج7 ، دار العلم للملايين، ط 5 بيروت 1980 ، ص 146 .

5- أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي (ت476هـ) ، من تآليفه " التنبيه " في الفقه ، و" اللمع " و شرحها في أصول الفقه ، و " النكت " في الخلاف ، ينظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان ، ج1 ، تح: إحسان عباس دار صادر ، ط1 ، بيروت 1994 ، ص 29 .

6- (ب) : الطوائف ، و المثبت من (ز) .

7- عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم ابن جماعة الكناني ، عز الدين (ت767هـ) ، ابن المترجم له التالي ذكره ، ينظر: الزركلي ، الأعلام ، ج4 ، ص 26 .

8- محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي (ت733هـ) ، قاض من العلماء بالحديث و سائر علوم الدين ، ينظر: الزركلي ، الأعلام ، ج5 ، ص 297 .

و حاملـــو راية سنة النبي عليه السلام[1] ، السراجان أبو حفص عمر بـــن رسلان بن نصر بن صالح البلقيني[2] ، و عمر بن علي بن أحمد بن محمد الأنصاري الشهير بابن الملقـــن[3] و وحـــيد دهره و فريد عصره ، الحافظ زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم بـــن العراقـــي[4] بـــرّد الله مثواهم و جعل أعالي الجنان منزلهم و مأواهم .

و حدثني بها أيضا إجـــازة عن ابن جماعة المذكور مولاي الجد أبو أبي ، محمد بن مرزوق[5] رحمه الله تعالى و رضي عنه .

و حدثني بها[6] أيضا إجازة أبي أحمد[6] رحمه الله تعالى ، و عمي أبو الطاهر محمد[7] حفظه الله تعالى ، عن والدهما محمد المذكور بأسانيـــده فيها و هي كثيرة .

و حدثني بها[8] أيضا إجـــازة الإمام العلامة النحوي آخـــر النحاة بالديـــار المصرية شمس الدين أبو عبد الله محمد الغماري[9] عن أبي حيان[10] عن الناظم .

و حدثني بها أيضا إجازة الشيخ الفقيه الإمام الأستاذ النحوي اللغوي الأعرف الحافظ المتقن الروّاية الصالح العارف أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الأزدي التونـــسي الشهير بالقصار[11] رحمه الله تعالى ، و له على القصيدة المذكورة تعليق ذكر فيه نبذا مـــن اللغة و الإعراب ، عن[12] الشيخ الفقيه المحدث الرحال أبي عبد الله محمد بن جابر القيـــسي الوادي آشي[13] بحق سماعه لها عن الشيخ التوزري[14] بحق سماعه لها من ناظمها .

1- (ب) و (ز) : صلى الله عليه و سلم .

2- عمر بن رسلان بن نصير بن صالح الكناني العسقلاني الاصل ثم البلقيني المصري الشافعي (ت805 هـ) ، مجتهد حافظ للحديث ، له مؤلفات في الفقه و الحديث ، ينظر: الزركلي ، الأعلام ، ج5 ، ص 46 .

3- عمر بن علي بن أحمد الانصاري الشافعي ، سراج الدين أبو حفص بن النحوي (ت804 هـ) ، من أكابر العلماء بالحديث و الفقه و تاريخ الرجال و الطبقات ، له نحو ثلاثمائة مصنف ، ينظر: الزركلي ، الأعلام ، ج5 ، ص 57 .

4- أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين الكردي الرازياني ثم المصري (ت826 هـ) ، قاضي الديار المصرية ، مولده و وفاته بالقاهرة ، ينظر: الزركلي ، الأعلام ، ج1 ، ص 148 .

5- محمد بن أحمد بن محمد ، ابن مرزوق العجيسي التلمساني (الجد) ، أبو عبد الله ، شمس الدين (ت781 هـ) ، فقيه و خطيب تولى الوزارة مرات ، أثنى عليه ابن خلدون و المقري في النفح ، له كتب منها " المسند الصحيح الحسن من أخبار السلطان أبي الحسن " ، ينظر: الزركلي ، الأعلام ، ج5 ، ص 328 .

6- سقطت من (ب) .

7- عرفت عائلة ابن مرزوق بالعلم و الفضل و الصلاح ، و اشتهر منها الجد و الحفيد و الكفيف بن الحفيد ، ينظر: المقري نفح الطيب ، ج7 ، ص 395 .

8- سقطت من (ب) .

9- محمد بن محمد بن علي بن عبد الرزاق المالكي النحوي ، الشمس الغماري (ت802هـ) ، ينظر: السخاوي شمس الدين : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، ج8 ، دار الحياة ، بيروت(د.ت) ، ص 187 .

10- محمد بن يوسف بن على الغرناطي الأندلسي الجيانى ، أثير الدين (ت745 هـ) ، يعرف بأبي حيان النحوي ، من كبار العلماء بالعربية و التفسير و الحديث و التراجم و اللغات ، ينظر: الزركلي ، الأعلام ، ج7 ، ص 152 .

11- أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الأزدي التونسي ، القصار ، لغوي و فقيه مالكي ، عاش في منتصف القرن الثامن للهجرة ، ينظر : عبد الحي الكتاني ، فهرس الفهارس و الأثبات و معجم المعاجم و المشيخات و المسلسلات ، تح : إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، ط 2 ، بيروت 1982 ، ص 524 .

12- (ب): أن .

13- محمد بن جابر بن محمد بن قاسم القيسي الوادي آشي ، شمس الدين أبو عبد الله (ت749 هـ) ، شاعر أندلسي رحال عالم بالحديث ، له " ديوان شعر " ، ينظر: الزركلي ، الأعلام ، ج6 ، ص 68 .

14- لم يتكرر ذكر التوزري في الكتاب ، و لم أجد ممن عرف بالتوزري و عاصر البوصيري غير اثنين ، فلعله يكون : **ابن الشباط التوزري** ، محمد بن علي بن محمد بن علي بن عمر، أبو عبد الله المصري (ت681 هـ) ، أديب من أهل توزر ، ولي بها القضاء و درس مدة بتونس ، ينظر: الزركلي ، الأعلام ، ج6 ، ص 283 .

أو: **التوزري القسطلاني** ، محمد بن أحمد بن علي القيسي الشاطبي ، قطب الدين (ت686 هـ) ، عالم بالحديث و رجاله أصله من توزر ، تولى مشيخة دار الحديث الكاملية بالقاهرة ،ينظر: الزركلي ، الأعلام ، ج5 ، ص 323 .

[الشرح :]

[1]أَمِنْ تَذَكُّــرِ جِيــرَانٍ بِذِي سَلَمٍ مَزَجْتَ دَمْعــاً جَرَى مِنْ مُقْــلَةٍ بِــدَمِ
أَمْ هَبَّتْ الرِّيحُ مِنْ تِلْقاءِ كَاظِمَةٍ وَ أَوْمَضَ البَرْقُ فِي الظَّلْمَاءِ مِنْ إِضَمِ

شرح الغريب :

التذكير مصدر تذكر تفعل ، من الذكر و له معــان ، و هو هنا ضد النسيان ، / قال [و2] الله[2] تعالى ﴿ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ﴾[3] ، و فــسر بالحفظ أيضا لأنــه ضــد النسيان ، و يقــال ذكر غير ممنون[4] ، و ذكــره ، و ليكن هذا على ذِكر منك بكسر الذال و ضمها أي لا تنسه ، و ذكرت الشيء بعد النسيــان ، و ذكرته بلســاني[5] أي نطقت بــه و بقلبي ، و تذكرته و اذكرته و ذكرته بمعنى و منه ﴿ وَ ادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾[6] أي ذكــر بعــد نسيان كذا فسر الجوهري[7] ، وأصله اذتكر أبدلت التاء دالا وأدغمت فيها الذال بعد إهمالها و منهم من يعجم الدال[8] المبدلة من التاء و يدغم ، و الأول أكثر .

و يطلق التذكر أيضا و يراد به تردد الفكر الذي محله البطن الأوسط من [الدماغ الذي هــو محل القوى الحافظة ، على الخلاف في][9] كيفية نشئه عنه ليس هذا محل بيانه ، و إن كان التردد لتذكر ما نسي مما جعل في الحافظة سمي تذكرا ، و الأول عند المعتزلة يولد العلــم دون[10] الثاني ، و يحتمل تفعل المذكور مصدره في البيت من المعاني أن يكون مطاوع فعل كعلمته فتعلم ، أي ذكرته فتذكرت ، أو التكلف [كتصبر][11] ، و لا يخفى بيــانه في التفسير و الصيرورة كأيمت المرأة صارت أيما ، أو الإتحاد كبيت الحي ، أو مواصلة العمــل فــي مهلة[12] كتفهم ، أو موافقة المجرد كتعدَّى الشيء و عداه جاوزه ، و ذكر بعضهم أنه يحتمل أن يكون للتكثير و لم أر من معاني تفعل التكثــير ، إلا أنهم نصوا أنه يكون لموافقــة فعَّــل ومن معانيه التكثير ، (و هو لائق هنا)[13] .

و الجيران فعلان ، بكسر الفاء و سكون العين جمع جار ، و هو جمع كثرة شائع في المعتل العين كنار و نيران و قاع و قيعان و قد جمع على جيرة ، و أصل الياء فيه الواو إلا أنهــا سكنت بعد كسرة فقلبت ياء و هو قياسها كميزان و ميعاد من الوزن و الوعد ، و أصل جار جور ، قلبت الواو ألفا لتحركها بعد فتحة ، و هو من قربت داره من دارك ، هذا معناه هنــا و لا يتصدى في هذا الشرح لبيان ما يقع عليه اللفظ المشترك من معانيه إلا لما يليق بالبيــت

1- في (ب) سُبق البيتان بكلمة " أصل " .
2- سقطت من (ب) .
3- سورة الكهف ، الآية 63 .
4- (ب) : يقال ذكر و ذكرا غير ممنون .
5- لم يذكرها الناسخ في المتن ، و تداركها في الحاشية ، ثابتة في متن (ب) و (ز) .
6- سورة يوسف ، الآية 45 .
7- ينظر : اسماعيل بن حماد الجوهري ، تاج اللغة و صحاح العربية، ج3 ، تحقيق : أحمد عطار ، دار العلم للملايين، ط 4 بيروت 1990 ، ، ص228 .
وهو إسماعيل بن حماد الجوهري أبو نصر (ت393هـ) لغوي من الائمة ، أشهر كتبه " الصحاح " ، ينظر: الزركلي الأعلام ، ج1 ، ص 313 .
8- سقطت من (ب) و (ز) .
9- في (أ) مطموسة و منمحية ، و المثبت من (ب) و (ز) .
10- (ب) : من .
11- زيادة في (ب) و (ز) ، سقطت من (أ) ، أثبتناها لعدم تمام المعنى إلا بها .
12- (ب) : مهملة .
13- ما بين قوسين ساقط من (ب) .

خاصة خشــية السآمة ، و تقــول[1] جاورته مجاورة و جــوارا بكسر الجيم و هو الأفصح و بضمها ، و تجاور القوم و اجتوروا صحت الواو لأنها في معنى تجاوروا الذي لا يــصح فيه الإعلال لسكون ما قبله ، و من هذا قيل الإعتكاف في المسجد مجاورة .
و ذو سلم موضع بين مكة و المدينة قريب من قــديد .
و المزج الخلط و مزجت خلطت ، و قيل الخلط أعم لأنه يكون فيما لا يصير بعــد الخلــط حقيقة واحدة كخلط الدراهم بالدنانير بخلاف المزج .
و الدمع بينه و بين واحده إسقاط التاء فهو اسم جنس و واحده دمعة ، و هو الماء السائل من العين مع البكاء ، و المراد به هنا ما يخرج مع البكاء ، أي بكيت فمزجت ، إلا أنه عبر هنا بالمسبب (و أراد السبب)[2] لأن جريان الدمع من المقلة ســببه غالبا البكاء .
و الدمع ماء مالح يخرج من العين ، فإن كان لفرح كان باردا ، و إن كان لحزن كان ســخنا و سببه مضاعفة الحرارة الغريــزية بالحرارة الغريبة التي تحدث بحركة النفس / الــشديدة [2ظ] عند الفرح[3] أو الحزن إلا أنها مع الحزن أقوى ، فلذا يخرج[4] سخنا كالماء الشديد الحرارة إذا فارق النار القوية لا يبرد إلا بعد حين ، فإن كانت الحرارة ضعيفة فينفس مفارقتها عــاد إلى أصله من البرد ، كالماء الذي يكون على نــار لينة يبرد من ساعته إن فارقها ، و لــذا لا يجري الدمع غالــبا إلا مع الحزن ، لأن الحرارة الحادثة بحزن أو غيره (يفــر أمامهــا ضدّها)[5] من الماء ، و هي الرطوبات المائية التي تكون من برد الــدماغ ، فتنــدفع أمــام الحرارة فتنزل من الرأس و هو من الدمع .
و قــلّ خروجه مع الفرح لأن النفس تنبسط معه فتتبدد الحرارة (على الجسم فيضعف فعلهــا و كثير مع الحزن لأن النفس تنقبض فتخرج الحرارة) [6] على ضرب واحد فتفر الرطوبات المائية[7] أمامها فإذا فرغت خرج الدم لأنه أقرب من غيره لعمومه الأعضاء و سريانه فــي سائر العروق، كما يفر الماء الكائن على النار، ولذا تراه يطلب الصعود لولا أن مركزه يطلبه
و ترتيب البكاء إن تهيــأ الرجل له قيل أجهش ، فإن امتلأت عيــنه دموعا قيل اغرورقــت و ترقرقت[8] ، فإن سالت قيل دمعت و همعت ، فإذا حكت دموعها المطر قيل همت ، فــإن بكى بصوت قيل نحب و نــشج ، فإذا صاح قيل أعول ، و قال الجوهري: " دمعت العــين تــدمع بفتح عين الماضي ، و كسرها لغة حكاها أبو عبيدة[9] ، و الدماع بالضم ماء العيــن من علة أو كبر ليس الدمع "[10] ، قال الراجز : [رجز]

يا من لــعين لا تني تهماعا قد تــرك الدمع بها دماعا[11]

1- (ز) : يقال .
2- ساقط من (ب) .
3- (ب) : الهرج .
4- (ب) : كان يخرج .
5- سقطت من (ب) .
6- ساقط من (ب) .
7- سقطت من (ب) و (ز) .
8- سقطت من (ب) .
9- معمر بن المثنى التيمي (ت209 هـ) ، من أئمة العلم بالأدب و اللغة و حفاظ الحديث ، أشهر كتبه " مجاز القرآن " الأعلام ، ج7 ، ص 272 .
10- ينظر: الصحاح ، ج4 ، ص 344 .
11- ورد البيت في كتب اللغة بلا نسبة ، ينظر: المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، ج11 ، دار الكتب العلمية، ط1 بيروت 1996 ، ص 16 .

و المقلة شحمة العين التي تجمع السواد و البياض ، و في المقلة الحدقة و هي السواد الــذي في وسط العين و جمعه حدق و حداق ، و في الحدقة الناظر و الإنسان و هو موضع البصر منها الذي تراه كأنه صورة و ليس بخلق مخلوق ، و العين كالمرآة إذا استقبلها شخص رأيت شخصه فيها لشدة صفاء الناظر، و الناظر أيضا عرقان في العينين يسقيان الأنف ، كل واحد ناظر ، و أما طبقات العين السبع من الجلدية و غيرها فبيان ذلك في علم التشريح و ليس من غرضنا هنا ، كما أن بيان سبب الإبصار من عادة يخلقها الله تعالى أو انبعاث أشعة محلــه العلوم الحكمية و الكلام .

و الدم معروف وهو أحد الأمشاج الأربعة التي خلق منها الجسم ، و هو حار رطب و منشأه من الكبد ، و ينفد في عروقها إلى الجسد و بعضه في القلب ، و أصله دمو بالتحريك حذفت لامه على غير قياس و قلبت الواو ياء في دمي يدمى لأجل الكسرة[1] كرضي ، و بناه بعض العرب دموان ، و قال سيبويه[2]: أصله دمي بالتسكين[3] و لذا جمع دماء و دمــى كظبــي و ظباء و دلاء و دلى ، و لو كان كعصى لما جمع كذلك ، و قال المبرد[4] : هو بالتحريــك و جمعه مخالف لنظائره و لامه ياء و لذا ثني دميان ، و تصغيره دمي ، و النسب إليه دمي و دموي ، و يقال دمي يدمى دما بتحريك المصدر اتفاقا ، وإنما الخلاف في الإســم و دميــا فهو دم .

و هبت الريح هبوبا و هبيــبا[5] هاجت ، قال الجوهري: "و الهبوبة الريح التي تثير الغبــرة و كذلك الهبوب و الهبيب "[6] . و للريح تقاسيم تختلف أسماؤها بحسبها يطول ذكرها ، لكنْ أسماؤها بحسب الهبوب خاصة إن / هبت من جهات مختلفة فهــي المتـــــناوحة ، و مــن **[و3]** الأرض نحو السماء كالعمــود فهي الإعصـــار ، و بالغبرة فهي الهبـــوة و تقــدم قــول الجوهري فيها ، و أصل الريح روح بدليل جمعها على أرواح ، و أما رياح بالياء بدل مــن الواو لكسر ما قبلها كما في المفرد ، و الريح مؤنثة ، و القول بأن حقيقتها اضطراب الهواء و أجسام أخر مخلوقة مخزونة في خزائنها التي جعلها الله فيها و عليها خزنة الملائكة ، لمــا ورد في الآثار أنها تخرج بمقدار إلا في الوقت الذي أهلك الله فيه عادا ، فإنها عتــت علــى الخزنة فخرجت من مقدار الخاتم و لو خرجت من مقدار منخر ثور لأهلكت الدنيا ، كل ذلك مقرر في غير هذا ، و يدل على الثاني قوله سبحانه و تعالى في وصف ريحهم ﴿ عَاتِيَةٍ ﴾[7] و قوله تعالى ﴿ وَ إِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ ﴾[8] .

1- سقطت من (ب) و (ز) .

2- عمرو بن عثمان بن قنبر(180 هـ) ، إمام النحاة و أول من بسط علم النحو ، أشهر ما ترك " الكتاب " في النحو ينظر: الزركلي ، الأعلام ، ج5 ، ص 81 .

3- سقطت من (ب) .

4- محمد بن يزيد بن عبد الاكبر الثمالى الازدي ، أبو العباس (ت286 هـ) ، إمام العربية و الأدب و الاخبار ، أشهر كتبه " الكامل في اللغة و الأدب " ، ينظر: الزركلي ، الأعلام ، ج7 ، ص 144 .

5- (ب) : هبا .

6- الجوهري : الصحاح ، ج2 ، ص 258 .

7- سورة الحاقة ، الآية 6 .

8- سورة الحجر ، الآية 21 ، و بعدها في (ب) : الآية .

و تلقاء قال الجوهري في "جلس تلقاءه أي حذاءه"[1]، والمعنى في البيت من قرب أو من ناحية و" كاظمة موضع " قاله الجوهري[2] ، و قال غيره اسم ماء , قال الأصمعي[3]: يخرج من البصرة إلى كاظمة فتسير ثلاثا و هي طريق المنكدر لمريد مكة ، و ماء كاظمة (ملح صلب يصلح الحديد) [4] ، و كاظمة من مياه بني شيبان ، و رأيتُ ولا أتحقق الآن محله أن كاظمة موضع بقرب المدينة المشرفة على ساكنها أفضل الصلاة و أزكى السلام و هذا أنسب هنا .
أومض البرق إيماضا لمع لمعانا[5] خفيا ، و كذا ومض يمض ومضا و وميضا و ومضانا و هذا إن لم يعترض في نواحي الغيم ، فإن اعترض فيها و لمع فهو الخفق ، فإن استطال في وسط السماء و شق الغيم و لم يعترض يمينا و لا شمالا فهو العقيقة ، و له أيضا أسماء كثيرة بحسب صفاته .
و حقيقته نار تحدث عند اصطكاك أجرام الهواء فتحدث عند ذلك نار هو البرق ، و ذلك أكثر ما يكون عند انتقال الزمان من البرد إلى الحر أو العكس ، فيصادف الهواء حارا أو بالعكس فتحدث أصوات الرعد من تلك الأصوات و تكون النيران لشدة الإصطكاك ، و هذا على أصول الحكماء و أهل الهيئة ، و أما السنيون فيقولون أن الرعد ملك ، و قيل صوت ملك يزجر السحاب إلى الجهات التي يريد الله سبحانه وتعالى ، والبرق صوته ، و اختلفوا في مقدار جرم ذلك الملك بما يتوقف نقله على خبر صحيح و الله تعالى[6] أعلم .
و الظلماء الظلمة و هي خلاف النور ، بضم الظاء مع ضم اللام و فتحها (و الجمع ظلم و الظلمات)[7] بضم الظاء مع ضم اللام و فتحها و سكونها ، و أما التي في البيت فبفتح الظاء و قياس جمعها[8] ظلم كحمراء و حمر إلا أنه ورد الجمع بفتح اللام على غير قياس و ربما وصفوا بها فقالوا ليلة ظلماء ، و الظلام أول الليل ، و ظَلِمِ الليل بكسر اللام و أظلم بمعنى ، و أظلم القوم (دخلوا في الظلام)[9] و منه ﴿ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴾[10] ، و اختلف في الظلمة فقيل عدم الضوء فالتقابل بين الضوء و الظلمة تقابل للعدم والملكة ، و قيل عرض كما اختلف في الضوء أيضا ، و بعضهم لم يحك خلافا في الضوء إن كان هو النور أنه جسم .
وإضم بكسر الهمزة جبل، وقال غير الجوهري[11] واد دون المدينة ، وقيل جبل لأشجع وجهينة.

1- الجوهري : الصحاح ، ج7 ، ص 334 .
2- الجوهري: الصحاح ، ج6 ، ص 301 .
3- عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي ، أبو سعيد (ت216 هـ) ، راوية العرب و أحد أئمة العلم باللغة و الشعر و البلدان ، وتصانيفه كثيرة منها " شرح ديوان ذي الرمة " ، ينظر: الزركلي ، الأعلام ، ج4 ، ص 162 .
4- ما بين قوسين ساقط من المتن ، استدركه الناسخ في الحاشية ، وهو ثابت في متن (ب) و (ز) .
5- سقطت من (ب) .
6- (ب) : سبحانه و تعالى .
7- ساقط من (ب) .
8- في الهامش : أن يكون ، غير ثابت في (ب) أو (ز) .
9- ساقط من (ب) .
10- سورة يس ، الآية 37 .
11- يقول الجوهري: " و إضم واد دون اليمامة " ، الصحاح ، ج4 ، ص 331 .

التفسير :

معنى البيتين أن الناظم نزل نفسه منزلة مخاطب يخاطبه لما رآه باكيا و قد امتزج دمع عينه / بالدم ، فاستفهمه عن سبب بكائه على الوجه المذكور ، أهو من أجل تذكر جيران بذي سلم[1] أو جاوروك بذي سلم ، أم هو من أجل أن هبت الريح من ناحية كاظمة **[ظ3]** أو من أجل أن لمع البرق خفيا في الظلام من ناحية إضم فذكراك أحبابك من أهل الموضعين أعني كاظمة و إضما ، لأن البكاء من أجل الحبيب إما عن تذكره وإن حضر و إما لمفارقته و ليس البكاء من أجل المكان مجردا فالسر في السكان لا في المنزل ، نعم إن بكى المنزل فمن أجل ساكنه ، قال : [وافر]

أمرّ على الديار ديار ليلى	أقبل ذا الجدار و ذا الجدارا
و ما حب الديار شغفن قلبي	و لكن حب من سكن الديارا

و قال أبو الوفاء : [طويل]

أحن إلى بغداد شوقا و إنما	أحن إلى إلف بها لي شائق
مقيم بأرض سرت عنها و بدعة	إقامة معشوق و رحلة عاشق

و في النوادر أنشد أحمد بن يحي : [طويل]

أمن أجل دار بين أوذان فالتقى	غداة النوى عيناي تبتدران
فقلت ألا لا بل قذيت و إنما	قذى العين لي ما هيج الطللان

في أبيات هذا هو المعنى الصحيح ، و يدل على أنه خاطب نفسه قوله بعد هذا : نعم سرى طيف من أهوى فأرقني ، إلى قوله : ظلمت سنة ، و قوله : أستغفر الله ، فهو على هذا في مخاطبة نفسه كقول المتنبي[2] : لا خيل عندك تهديها و لا مال[3] فإنه خاطب نفسه بدليل قوله بعد : و إن يكن محكمات الشكل تمنعني و ما بعده .

و كقول امرئ القيس[4] : تطاول ليلك.. الأبيات ، لقوله بعد : و ذلك من نبأ جاءني .

و كقول علقمة بن عبدة[5] : طحا بك قلب في الحسان طروب[6] ، لقوله بعد : تكلفني ، و هو كثير .

و يحتمل أن يكون الناظم مثّل إنسانا بصفة ما ذكر فخاطبه ، قال بعضهم و هذا المعنى لا تكلف فيه بخلاف الأول ، قلت و الصواب العكس عند من غذي بلبان الأدب و ارتشف الرضب من لسان العرب لعوده إلى الإخبار عن نفسه كما تقدم ، إلا أن يقول أنه على حذف القول ، أي قال أي المخاطب نعم سرى ، و فيه من التكلف و الخروج عن المهيع ما لا يخفى ، ثم محصول هذا الوجه الرجوع إلى الأول ، فإن هذا المخاطب ليس يعني به إلا نفسه لا شخصا آخر غيره[7] و إلا فات المقصود .

1- في (ب) و (ز) : كانوا بذي سلم .

2- أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكوفي الكندي ، أبو الطيب (ت354 هـ) ، الشاعر الحكيم ، له الامثال السائرة و الحكم البالغة و المعاني المبتكرة ، له " ديوان شعر " ، ينظر: الزركلي ، الأعلام ، ج1 ، ص 115 .

3- تمام البيت : " فليسعد النطق إن لم يسعد الحال " ، ديوان المتنبي ، دار بيروت ، بيروت 1983 ، ص 486 .

4- امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي (توفي نحو 80 ق هـ) ، من أشهر شعراء العرب ، له المعلقة الشهيرة " قفا نبك من ذكرى حبيب و منزل " ، ينظر: الزركلي ، الأعلام ، ج2 ، ص 11 .

5- علقمة بن عبدة بن ناشرة بن قيس (توفي نحو 20 ق هـ) ، شاعر جاهلي ، له " ديوان شعر " ، ينظر: الزركلي الأعلام ، ج4 ، ص 247 .

6- ديوان علقمة بن عبدة الفحل شرح الأعلم الشنتمري ، تقديم حنا نصر الحتي ، دار الكتاب العربي، ط1 ، بيروت 1993 ص 23 .

7- ساقط من (ب) .

و في قوله مزجت على هذا التـفات ، و حقيقة هذا اللقب سواء جعل من علم المعاني أو من علم البديع ، نقل كل من التكلم أو الخطاب أو الغيبة إلى آخـر منها ، سواء نقـل بعد ذكره أو كان مقتضى الظاهر ذكره فعدل عنه إلى غيره ، هذا رأي السكـاكي[1][2] ، و هو عنـد الجمهور نقل ما ذكر من الثلاثة إلى آخر منها ، و ما عبر به أولا فليس بالتفات و لو اقتضى المقام غيره ، فكل التفـات عندهم التفات عند السكاكي و لا عكس ، ففي قول امرئ القيس : [متقارب]

تطاول ليلـك بالإثـمد و نـام الخلي و لم ترقد /

[و4]

و بـات و باتت له ليلة كليلة ذي العائـد الأرمد

و ذلك من نبـأ جاءني و خبرته عن أبي الأسود[3]

ثلاثة التفاتات عند السكاكي[4] و اثنان عند الجمهور، أولها على الأول ليلك فـإن مقتـضى الظاهر ليلي و على الثاني جاءني ، و منه على الأول قول ربيعة بن مقروم [5] : [بسيط]

بانت سعاد فأمسى القلب معمودا و أخلفتك ابنة الحر المواعيدا

و مقتضى الظاهر أخلفتني ، و كذلك قوله : [طويل]

تذكرت و الذكرى تهيجك زينبا و أصبح ما في وصلها قد تقضبا

و قول علقمة بن عبدة : [طويل]

طحا بك قلب في الحسان طروب بعيد الشباب عصر حان مشيب

تكلـفني ليلي و قد شط ويـلها و عادت عواد بينـنا و خطوب[6]

[و الأصل طحا بي][7] ، و أقسام الإلتفات ستة مذكورة في علم البيان ، و يسمى أيضا تلون الخطاب وفائدته تنشيط النفس لاستلذاذها بلون جديد ، و هو في البيت من التكلم إلى الخطاب لأن الأصل مزجت نحو ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾[8] أي لنا .

و أما على احتمال [خاطب][9] إنسانا فيصح على معنى التجريد ، و حقيقية هذا اللقب في علم البديع أن يبلغ شيء النهاية في صفة من الصفات حتى يقدر أنه ينتزع من ذلك الشيء شـيء آخر[10] مثله في الإتصاف بتلك الصفة ، تنبيها على المبالغة في الإتصاف بالـصفة، نحـو مررت بالرجل الكريم والنسمة المباركة وهي هو، و نحو ﴿ ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾[11] إذا قدر أقسم بالسورة الشريفة و القرآن .

و فائدة الإلتفات أو مخاطبة الإنسان نفسه أو التجريد هنا كما في غيره ، إما أن يكون وبّـخ نفسه على البكاء المفرط و قـلة التصبر[12] كفعل الكرام ، و منه تطاول ليلك ، أو حرضها على الإزدياد منه إذ هو راحة المكروب ولا سيما المحب ، ومنه قول أبي الطيب : [بسيط]

1- يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي (ت626 هـ) ، عالم بالعربية و الادب ، من كتبه " مفتاح العلوم " ، ينظر: الزركلي ، الأعلام ، ج8 ، ص 222 .

2- ينظر: أبو يعقوب يوسف السكاكي ، مفتاح العلوم ، تح: أكرم عثمان يوسف ، دار الرسالة، ط1، بغداد 1982 ، ص395

3- ديوان امرئ القيس ، شرح عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة ، ط2 ، بيروت 2004 ، ص 87 .

4- ينظر: السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص 398 .

5- ربيعة بن مقروم بن قيس الضبي (توفي بعد 16 هـ) ، شاعر مخضرم من شعراء الحماسة ، الأعلام ، ج3 ، ص 17 .

6- ديوان علقمة بن عبدة الفحل ، ص 23 .

7- زيادة من (ب) و (ز) ، ساقطة من (أ) .

8- سورة الكوثر ، الآيتان 1 و2 .

9- زيادة من (ب) و (ز) ، ساقطة من (أ) .

10- سقطت من (ب) .

11- سورة ص ، الآية 1 .

12- (ب) : الصبر .

لا خيل عندك تهديها و لا مال فليسعد النطق إن لم يسعد الحال
و اجز الأمير الذي نعماه سابغة بغير قول و نعمى القوم أقــوال[1]

حرض على مدح الأمير أو نصحها بترك ما هي فيه خوفا من تفطن الوشـــاة ، لقولــه بعــد أيحسب الصب.. البيت ، أو خوف تلف النفس ، و منه قول ابن الإطنابة [2]: [وافر]

أقول لها و قد جشأت و جاشت مكانك تحمدي أو تستريحي

فإنه لما وطـــن نفسه على احتمال المكروه جــرّدها و خاطبها نصحا ، و هذا البيت ثبــت[3] [عن][4] معاوية[5] يوم صفين بعد أن كان يضطرب ، و هو في الأحـــوال كلهــا مخاطــب بالإستفهام عن سبب مزج الدموع بالدم ، ففي التوبيخ يكون المعنى استبعاد أن يكون كل من تذكر الجيران و هبوب الريح سببا لهذا الجزع العظيم ليسارة أمرهما بالنسبة إلى مــا يلقــى المحب بل الأولى التصبر ، و في التحريض يكون الأمر بالعكس ، و المعنى أن مثــل هــذا البكاء لا يكون إلا عن مثل أحد الأمرين فأيهما هو السبب ؟ فالإستفهام علـــى هــذا المعنـــى الثاني تحقيقي، و في المعنى تعظيم / أمر المستفهم عنه، و على الأول إنكاري نحو: [رجز]

[ظ4]

أطربا و أنت قنسري و الدهر بالإنسان دواري[6]

و في النصح يكون المعنى اترك ما أنت عليه ، إما لأن كلا من الأمرين يـــسير فالإســـتفهام للتوبيخ وهو المعنى الأول ، أو لأن كلا منهما عظيم وهو الثاني ، و أمره بالترك لأن لا يقع فيما هو أعظم مما هو فيه من تفطن الوشاة أو هلاك النفس، والمعنى الثالث يحتمل المعنيين[7] الأولين ، و يحتمل كلام الناظم وجوها كثيرة من التقريرات غير ما ذكر يطول تتبعها لاسيما على احتمال التجريد ، و يحتمل الخطاب في مزجت أن يكون من الخطاب العام ، وهو مــا يخاطب به غير معين للإيذان بأن الأمر لعظمه لا يختص به واحد دون آخر كقول الأعشى[8] [طويل]

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى و لاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على أن لا تكون كــمثله و أنك لم ترصد كما كان أرصدا[9]

و في التنزيل ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ ﴾[10] أي تناهت حالهم في الظهور حتى لا يخـــتص بها مخاطب بل كل من تأتي منه الرؤية ، و في الحديث « بشر المشائين فـــي الظلــم إلـــى المساجد بالنور التام يوم القيامة»[11] ، و التعظيم الموجب لهذا في البيــت إمــا مــن حــال المخاطب أو من حال سبب الخطاب . و اعلم أن الذي يلي همزة الإستفهام هو المــستــفهم عنه ، و لما كان مزج الدمع بالدم محققا لم يوله الهمز ، و إنما أولاها ما استفهم عنه و هــو أحد السببين[12] .

1- البيت الثاني في ديوانه " واجز الأمير الذي نعماه فاجئة * بغير قول و نعمى الناس أقوال" ، ديوان المتنبي ، ص 486
2- عمرو بن عامر بن زيد مناة الكعبي الخزرجي ، شاعر جاهلي فارس من أشراف الخزرج ، الأعلام، ج5 ، ص 80 .
3- سقطت من (ب) .
4- زيادة من (ب) و (ز) ، ساقط من الأصل (أ) .
5- معاوية بن صخر بن حرب بن أمية (ت60 هـ) ، مؤسس الدولة الأموية ، أحد دهاة العرب ، الأعلام، ج7 ، ص 261 .

6- البيت للعجاج، ديوان العجاج ، تح: عزة حسن ، دار الشرق العربي ، بيروت 1995 ، ص 293 .
7- (ب) : الوجهين .
8- ميمون بن قيس بن جندل (ت7 هـ) ، أبو بصير المعروف بأعشى قيس و الاعشى الكبير من شعراء الطبقة الاولى في الجاهلية و أحد أصحاب المعلقات ، غزير الشعر ، يسمي " صناجة العرب " ، الأعلام، ج7 ، ص 341 .
9- ديوان الأعشى الكبير ، شرح: مهدي محمد ناصر ، دار الكتب العلمية ط3 ، بيروت 2003 ، ص 51 .
10- سورة السجدة ، الآية 12 .
11- سنن ابن ماجه : كتاب المساجد ، الحديث ذو الرقم 781 .
12- (ب) : الشيئـين .

ثم المعنى الذي استعمله الناظم من الحنين إلى الأوطان و البكاء من أجل تذكر الجيران و هو من هبوب الرياح و إيماض البرق من نواحي الأحبة مشهور و معلوم من مذاهب[1] الشعراء قديما و حديثا . و روي أنه صلى الله عليه وسلم لما هاجر من مكة اغتم و وقف بالحزورة و هو موضع خشن بالحصى في ظاهر مكة ، و قال : « والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله ولولا أني أخرجت منك ما خرجت»[2] ، فنزل عليه بالجحفة : ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ ﴾[3] ، و كان بلال[4] ينشد بالمدينة : [طويل]

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة　　　بواد و حولي إذخر و جليل

و هل أردن يوما مياه مجنة　　　و هل يبدون لي شامة و طفيل

و قال امرؤ القيس : قفا نبك من ذكرى حبيب و منزل[5] .

و قال ذو الرمة[6] : [طويل]

خليلي عوجا من صدور الرواحل　　　بوعساء حزوى فابكيا في المنازل

لعل انحدار الدمع يعقب راحة　　　من الوجد أو يشفى نجيّ البلابل[7]

و هو كثير في شعره كقوله : [بسيط]

أإن ترسمت من خرقاء منزلة　　　ماء الصبابة من عينيك مسجوم[8]

و قوله : [طويل]

للربع ظلت عينك الماء تهمل　　　رشاشا كما استن الجمان المفصل[9]

و هذا المعنى يفوت استعماله الحصر ، و هذان البيتان الأخيران أقرب إلى منزع الناظم ويقرب منه في المعنى بكاء الدم قول مهيار[10] : / [طويل] **[و5]**

بكيت على الوادي فحرمت ماءه　　　و كيف يحل الماء أكثره دم[11]

و للعماد الأصبهاني[12] : [رمل]

كان دمعي لؤلؤا لكنهم　　　أرخصوه بالنوى فهو عقيق

ما لعيني ما لها ظامية　　　و لها في الدمع إنسان غريق

و للحسام الحاجري[13] : [خفيف]

قلت للسائق المجدّ بليلى　　　و قد اعتد للفراق الفريق

يا منادي الرحيل أرخصت دمعي　　　قال لي هكذا يباع العقيق

1- سقطت من (ب) و (ز) .
2- سنن الترمذي : باب في فضل مكة ، الحديث 3925 .
3- سورة القصص ، الآية 85 .
4- سقطت من (ب) .
5- ديوان امرئ القيس: ص 21 .
6- أبو الحارث غيلان بن عقبة (ت117 هـ) ، من الشعراء الفحول ، ترجمته في وفيات الأعيان، ج4 ، ص 11 .
7- ديوان ذي الرمة ، شرح الخطيب التبريزي ، تقديم: مجيد طراد ، دار الكتاب العربي، ط2، بيروت 1996 ، ص 459.
8- ديوان ذي الرمة : ص 130 .
9- ديوان ذي الرمة : ص 537 .
10- أبو الحسن مهيار بن مروزيه الكاتب الديلمي ، شاعر كان مجوسياً وأسلم (ت428هـ)، وفيات الأعيان، ج5 ، ص 359
11- ديوان مهيار الديلمي ج2 ، دار الكتب المصرية ط1 ، القاهرة (د.ت) ، ص 344 .
12- أبو عبد الله محمد بن محمد صفي الدين (ت597 هـ) ، مؤرخ عالم بالادب من أكابر الكتاب ، الأعلام، ج7 ، ص 26 .
13- أبو يحيى و أبو الفضل عيسى بن سنجر بن بهرام بن جبريل الإربلي ، المعروف بالحاجري الملقب حسام الدين (ت632هـ) ، له ديوان شعر مشتمل على شعر و الدوبيت و الموالية ، وفيات الأعيان، ج3 ، ص 501 .

و أنشد أبو القاسم بن كيكس عامل القائم بأمر الله : [طويل]

بكيت دمـــا حتى بقيت بلا دم   بكاء فتى فرد على ساكن فرد
أأبكي الذي أهواه بالدمع وحده   لقد جل قدر الدمع فيه إذا عندي

و أنشد المرتضي[1] أخو الرضي[2] و هما ابنا الطاهر الموسوي : [طويل]

و يوم وقفنـــا للوداع و كلـــنا   يـــعد مطيق الشوق من كان أحزما
فصرت بقلب لا يعنف في الهوى   و عين متى استمطرتها مطرت دما[3]

وهذا أبلغ مما للناظم فإن هذا صرف و ما له ممزوج ، قال أبو عمرو بن العلاء[4] : مما يدل على نبل الرجل و كرم غريزته ، حنينه إلى أوطانه[5] و تشوقه إلى متقدم إخوانه ، و بكـــاؤه على ما مضى من زمانه ، و قال يحي بن سعيد الأموي : تزوج رجل من أهـــل[6] تهامـــة امرأة من نجد ، فلما أصابها حـــرّ تهامة قالت ما فعلت ، ريح كانت تأتينا[7] و نحن في نجد يقال لها الصبا ، قال يحبسها عنك هذان الجبلان ، فقالت : [طويل]

أيا جبـــلي نعمـــان بالله خلـــيا   نسيـــم الصبا يخلص إلي نسيمها
أجد بردها أو تشف مني حرارة   على كبدي لم يبـــق إلا صميمها
فإن الصبا ريـــح إذا ما تنسمت   على نفس محزون تخلت همومها[8]

وقال مصعب: خرجنا للغزو زمن مروان فأصابنا مطر، فملنا إلى كن قصر فقالت وليدة منه: بأبي من أين أقبلتم ، قلنا من مكة فتنفست الصعداء ، و قالت : [بسيط]

من كان ذا شجن بالشام يحسبه   فإن في غيـــره أمسى لي الشجن
و إن ذا القصر حقا ما به وطني   لكن بمكة أمسى الأهل و الوطن
من ذا يسائـــل عنا أين منزلـــنا   فالأقحـــوانة منـــا منزل قـــمن
إذ نلبس العيش غضا ما يكدره   طعن الوشاة و لا ينبو بنا الزمن[9]

فلما قفلنا أتينا[10] القصر، فخرج صاحبه فأنزل و أكرم ، فقلت حاجة فقال مقـــضية ، قلـــت وليدة صفتها كذا إما تبيع أو تهب ، فقال و الله لقد واريتها الأرض[11] اليوم و لو أنها حية ما انقلبت إلا بها ، فتحسرت إذ لم أرجعها[12] إلى وطنها ، و كفى حاملا علـــى الحنـــين إلـــى الوطن قوله : [طويل]

1- علي بن الحسين بن موسي العلوي الحسيني الموسوي ، أبو القاسم المرتضى (ت 436 هـ) ، أحد الائمة في علم الكلام و الأدب و الشعر ، الأعلام ، ج4 ، ص 278 .
2- محمد بن الحسين بن موسى العلوي الحسيني الموسوي ، أبو الحسن الرضي (ت406 هـ) ، له " ديوان شعر " و كتب منها " المجازات النبوية " و " مجاز القرآن " ، الأعلام ، ج6 ، ص 99 .
3- البيت الثاني في ديوانه: " حضرت بقلب ..." ، ديوان الشريف المرتضي، ج3 ، شرح محمد التونجي ، دار الجيل، ط1 بيروت 1997 ، ص 218 .
4- أبو عمر بن العلاء بن عمار البصري (ت154 هـ) ، من أئمة اللغة و الادب ، أحد القراء السبعة، الأعلام، ج3 ، ص41
5- (ب) : محبته إلى الأوطان .
6- ساقط من (ب) .
7- في (ب) : كانت تأتينا ريح .
8- الأبيات لمجنون ليلى قيس بن الملوح ، ديوان قيس بن الملوح ، دار الكتب العلمية، ط1 ، بيروت 1999 ، ص 82 .
9- البيت للحارث بن خالد المخزومي ، ينظر: أبو الفرج الأصفهاني ، الأغاني ، ج 3 ، دار الكتب العلمية، ط2 بيروت 1992 ، ص 322 .
10- (ب) : أتيت .
11- (ب) : التراب .
12- (ب) : أرجع بها .

ديـــار بها نيطت علي تمائــمي و أول أرض مس جلدي ترابها[1] /

و قال بعض الأعراب : [طويل] **[ظ5]**

ذكرت بـــلادي فاستهــلت مدامعي لشوقي إلى عهد الصبا المتقادم

حننت إلى أرض بها اخضر شاربي و قطع عني قبل عقد تمـــائمي

و قد أوضح ابن الرومي[2] العلة في الحنين إلى الوطن فقال : [طويل]

و لـــي وطن آلــيت ألا أبيــعه و أن لا أرى غيري له الدهر مالكا

عهدت بـــه عهد الشباب و نعمة كنعمة قـــوم أصبحوا في ظلالــكا

وحببت أوطـــان الرجال إلـــيهم مـــآرب قضـــاها الشباب هنالــكا

إذا ذكـــروا أوطـــانهم ذكـــرتهم عهـــود الصبا فيها فحنـــوا لذلــكا

فقد ألـــفته النفـــس حتى كـــأنه لها جـــسد إن كان غـــودر هالـــكا[3]

و هو القائل : [كامل]

بلد صحبت به الشبيبة و الصبا و لبست ثوب العيش و هو جديد

فإذا تمثـــل في الضمير رأيته و عليه أغصان الشبـــاب تميـــد[4]

و لهذا خص ذكر الجيران أيضا ، فإن حق الجار ثابت معلوم من الشريعة و غيرها ، قـــال الله[5] تعالى ﴿ وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً ﴾ إلى قوله ﴿ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَـــارِ الْجُنُبِ﴾[6] ، و في الصحيح « ما زال جبريل يوصيني بالجـــار حتى ظننت أنه سيورثه »[7] و فيه أيضا من قـــوله صلى الله عليه و سلم: « من كان يـــؤمن بالله و اليوم الآخر فليـــكرم جاره »[8] و في رواية فلا يـــؤذ جاره ، و الإستشهاد على هذا المعنى بالأشعار و الحكايات يطول . و الجـــار من الأسماء الإضافية مقول بالتشكيك على الأقرب و الأبعد و أقربه أحـــق بالمراعاة ، و في الصحيح من حديث عائشة[9] رضي الله عنها « إلى أقربهما بابا »[10] .

و مما ورد من قول الشعراء فيما يهيجه البرق من ذكر الأحبة ، ما حكاه صاحب كتاب "نظم الفريد في منتخب الأدب التليد " عن الفضل بن محمد الضبي بن الغلاب ، قال لما قدم (سباء بني نمير)[11] كنت أذهب إليهم لأسمع منهم ، و كنت لا أعدم الفصيح منهم ، فأتيتهم يومـــا في عقب مطر ، و إذا بفتى حسن الوجه قد نهكه المرض و هو ينشد : [طويل]

ألا يا سنى برق على قلل الحمى لَـــهِنَّكَ من برق عليّ كريم

لمعت اقتذاء الطير و القوم هجّع فهيجت أسقـــاما و أنت سليم

فهل من معين طرف عين خلية فإنسان عين العامري كلـــيم

1- البيت لرقاع بن قيس الأسدي ، تاج العروس ، ج 16 ، ص 317 .

2- أبو الحسن علي بن العباس بن جريج و قيل جورجيس (ت283هـ) ، وفيات الأعيان ، ج3 ، ص 361 .

3- البيت الأخير في ديوانه مقدم على البقية و فيه " ... إن بان غودرت هالكا " ، ديوان ابن الرومي، ج3 ، شرح: أحمد حسن بسج ، دار الكتب العلمية ، ط3 ، بيروت 2002 ، ص 14 .

4- ديوان ابن الرومي ، ج1 ، ص 496 ، و في ثانيهما " و عليه أفنان الشباب تميد " .

5- (ب) : قال تعالى .

6- سورة النساء ، الآية 36 .

7- صحيح البخاري : 6015 .

8- صحيح البخاري : 6019 .

9- عائشة بنت أبي بكر الصديق (ت58 هـ) ، أفقه نساء المسلمين و أعلمهن بالدين و الادب ، زوجة النبي (ص) و راوية للحديث عنه ، الأعلام ، ج3 ، ص 240 .

10- مسند أحمد : 25577 .

11- سقطت من (ب) .

رمى قلـــبه البرق الملألئ رمية بذكر الحمى وهنا فبات سليم[1]

فقلت له يا هذا إنك لفي شغل عن هذا ، فقال صدقت و لكن أنطقني البرق ، فما كان ساعة حتى مات ، فما نتوهم عليه غير الحب .

المعاني :

في قوله مزجت الإلتفات على رأي من جعله من هذا الفن ، و على رأي من رآه من البديع ينبه عليه في ترجمته ، و كذا فيه الخطاب العام ، و هو أيضا على الــرأيين ، و فيــه الإسناد المجازي فإن المخاطب لم يمزج الدمع بالدم بل فعل / سببه و هو البكاء ، فهو نحــو بنى الأمير المدينة ، و لقائل أن يقول ليس مثل هذا السبب بالذي يخرج الإسناد عــن كونــه حقيقة بحسب اللغة و هذا هو الظاهر . **[و6]**

والتنكير في جيران و في دمعا **(و في مقلة)**[2] و في دم إما للتعظيم و إما للنوعية ، و تقدم فائدة تقديم من تذكر على عامله الذي هو مزجت لكونه المستفهم عنه ، و يحتمل تنكير دمعا أن يكون للتعظيم و النوعية **(** لوصفه بجرى ، و وحّد الريح و لم يجمعها**)**[3] لأنها تهيج عليه الأحزان لأنهم قالوا الرياح وردت في القرآن في الخير والريح في ضده .

و يحكى أنه صلى الله عليه و سلم كان يقول إذا رأى ريحا « اللهم اجعلها رياحا و لا تجعلها ريحا»[4] ، ولا ينتقض بقوله تعالى[5] ﴿ بريحٍ طَيِّبَةٍ ﴾[6] لوصفها ، و لأن النافعة للسفن إنما تكون من جهة واحدة ، و فيه أيضا تجاهل العارف ، و سمّــاه بعضهم سوق المعلوم مــساق المجهول ، قال من أجل ما وقع في القرآن تحــاشيا من نسبة التجاهل و العرفــان إلــى الله تعالى ، و منه قولها : [طويل]

أيــا شجر الخابور ما لك مورقا كأنك لم تجزع على ابن طريف

فتى لا يحب الزاد إلا من التقى ولا المال إلا من قــنا و سيوف[7]

و قوله : [طويل]

أيا ظبية الوعساء بين جلاجل و بين النقا أأنت أمْ أمّ سالــم[8]

و هو في البيتين بناء على أنه علم السبب لا سيما إن قلنا أنه خاطب نفسه .

البديع[9] :

في البيت الأول التجنــيس الناقص في دمع و دم لاختــلافهما بزيادة حــرف العــين وحقيقة هذا اللقب أن لا تختلف الكلمتان إلا في أعداد الحروف فقد يكون النقص مــن الأول نحو ﴿...بالسَّاقِ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴾[10] ، أو من الوسط نحو جدي جهــدي ، أو مــن الآخر: [طويل]

يمدون من أيد عواص عواصم تصول بأسياف قواض قواضب[11]

1- الأبيات لمحمد بن مسلمة ، تاج العروس ، ج 33 ، ص 143 .

2- سقط من (ب) .

3- سقطت من (ب) .

4- مسند أبي يعلى : 2456 ، و كنز العمال : 18033 .

5- (ب) و (ز) : سبحانه و تعالى .

6- سورة يونس ، الآية 22 .

7- البيتان لليلى بنت طريف ترثي أخاها الوليد بن طريف ، الأغاني ، ج 12 ، ص 113 .

8- البيت لذي الرمة ، ديوان ذي الرمة ، ص 271 .

9- لا توجد في النسخ (أ) و (ب) و (ز) ترجمة البيان ، فلعل المؤلف قد تركها أو أنها سقطت من النسخة الأم .

10- سورة القيامة ، الآية 30 .

11- البيت لأبي تمام ، ديوان أبي تمام ، ج 1 ، دار صادر ط1 ، بيروت 1997 ، ص 149 .

فإن قلت خالف أيضا بحركة ، قلت الظاهر أنهم اعتقدوا مثل ذلك ، و إلا فهو أقــرب مــن تمثيلهم ، جدي جهدي للتضعيف في جدي ، و أيضا أصل دم السكون كما تقدم لسيبويه ، إلا أن يقال المعتبر حركة الحال .

و فيه التجنيس الشبيه بالإشتقاق في جيران و جرى ، و هو أن تشتــبه الكلمتان في الحروف و لا يجمعها اشتقاق نحو إلى الأرض أرضيتهم ، و هو أيضا في البيت الثاني في قوله إضم و أومض ، و في الأول التسهيم وهو المسمى بالإرصاد ، و هو أن يجعل قبل العجــز مــن الفقرة أو القافية ما يدل عليهما إذا عرف الروي ، نحو قوله تعالى[1] ﴿ وَ مَــا كَــانَ اللَّــهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَ لَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[2] ، و قوله : [طويل]

أحلت دمي من غير جرم و حرمت ... بلا سبب يوم اللــقاء كــلامي

فليــس الــذي حللــته بمحــلل ... و لــيس الذي حرمته بحــرام[3]

و هو في البيت قوله[4] بدم ، لأنه يــفهم من قوله مزجت إلى آخره لكن بعد علم أن الــروي ميم مكسورة ، و لذا يضعف ادعاؤه في أول بيت من القصيد إلا إذا علم أن البيت مــصرع وفيه نظر بعد ، لكن هنا في غاية الظهور فهو حكاية ابن عباس[5] رضي الله عنهما مع الذي أنشده / : تشط غدا دار أحبابنا ، فقال ابن عباس : و للدار بعد غد أبعد ، و كان كذلك و لم يسمع غير الشطر الأول . **[ظ6]**

و فيه أيضا براعة الإستهلال ، و تسمى براعة المطلع و حسن الإبتــداء ، وهو أن يُــؤتى[6] في أول القصيدة أو الرســالة أو الخطبة بما يدل على مقصود المتكــلم[7] ، مع سهولة اللفظ و صحة السبك ، و وضوح المعنــى و تجنــب الحــشو ، و رقــة التــشبيه فــي الــشعر و تناسب القسمين ، و أن لا يكون البيت متعلقا بما بعده .

و هذا المقام من المواضع التي ينبغي للمتكلم أن يتأنق فيها ، لأن الإبتداء إذا كان حسنا أقبل السامع على ما بعده (و إلا مجّه) [8] ، و الموضع الثاني الخروج مما قدم في كلامــه إلــى المقصود ، (و الثالث الختام ، و جعله بعضهم رابعا و زاد ثالثا و هــو المطلــب ، و مــن أحسن الإبتداءات المؤذنة بالمقصود)[9] قــول أبي تمام[10] يمدح المعتصم[11] بفتح عمورية و كان المنجمون يزعمون أنها لا تفتح حينئذ : [بسيط]

السيف أصدق أنبــاء من الكــتب ... في حده الحد بين الجد و اللعب

بيض الصفائح لا سود الصحائف في ... متونهن جــلاء الشك و الريب[12]

1- (ب) : سبحانه و تعالى .
2- سورة العنكبوت ، الآية 40 .
3 - البيت للبحتري ، ديوان البحتري ، ج1 ، شرح : يوسف الشيخ ، دار الكتب العلمية ، بيروت 2000 ، ص 13 .
4- سقطت من (ب) .
5- عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي ، أبو العباس (ت68 هـ) ، صحابي جليل يُعرف بحبر الامة ، كان عالما بالحلال و الحرام و العربية و الأنساب و الشعر و أيام العرب ، الأعلام ، ج4 ، ص 95 .
6- (ب) : يأتي .
7- سقطت من (ب) .
8- ساقط في (ب) .
9- ساقط من (ب) .
10- جبيب بن أوس بن الحارث الطائي، أبو تمام (ت231 هـ) ، الشاعر الأديب ، في شعره قوة و جزالة ، له تصانيف منها " ديوان الحماسة " و " ديوان شعر " ، الأعلام ، ج2 ، ص 165 .
11- محمد بن هارون الرشيد بن المهدى ابن المنصور ، أبو إسحاق ، المعتصم بالله العباسي (ت227 هـ) ، ولي الخلافة بعد أخيه المأمون ، الأعلام ، ج7 ، ص 127 .
12- ديوان أبي تمام ، ج1 ، ص 96 .

و في البيت علم ما قصده من مدح رسول الله صلى الله عليه و سلم من ذكر الجيران بــذي سلم ، فإنه من جبال الحجاز ، فإن قلت إلا أنه متعلق بما بعده لقوله أم هبــت الــريح لأن أم متصلة ، قلت التعلق[1] المشترط نفيه ما لا يستقل لفظ البيت بإفادة المقصود من الــشعر إلا بذكر شيء من الثاني[2] ، و إما إن استقل بإفادة ذلك المعنى و كان تعلقه بالثاني (مقويا له)[3] كما هنا ، فذلك مما يزيده حسنا وهو ظاهر ، ألا ترى إلى تعلق بيت أبي تمام الثاني بــالأول
و في البيت الثاني مراعاة النظير و يسمى بالتناسب و الإئتلاف و التوفيق و هو الجمع بــين أمر و ما يناسبه[4] لا بالتضاد نحو ﴿ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ وَ النَّجْمُ وَ الشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾[5]
و من أحسن ما ورد فيه قول ابن رشيق[6] : [طويل]

أصح و أقوى ما سمعناه في الندى ... من الخبر المأثــور منذ قــديم
أحاديث ترويها السيول عن الحيا ... عن البحر عن كف الأمير تميم[7]

فجمع فيه بين الصحة و القوة و السماع و الخبر المأثور و الأحاديث ، و هذه كلها متناســبة ثم العنعنة ثم السيل و الحيا و البحر و كف تميــم ، و هو هنا جمعه بين الــريح و البــرق والظلماء ، و زعم بعضهم أن في قوله إضم و أومض جناس القلب ، قال لتشابه[8] حروفهــا و قدم في أحدهما ما أخر في الآخر ، و منه قول أبي تمام الصحائف و الصفائح ، قلت وإذا تأملت لم تجد هنا قلبا أصلا لا قلب كل نحو ﴿ كُلٌّ فِي فَلَكٍ ﴾[9] و لا قلب بعض كلفظ أبــي تمام ، (إلا أن يعتبر التقديم و التأخير من حيث الجملة فيشبه)[10] .
و زعــم أيضا أن في البيت الأول نوعــا من المبالغة المقبولة ، و هو المــسمى بــالإغراق و حقيقته أن يدعي لوصف بلوغه في الشدة أو الضعف حدا مستحيلا عادة لا عقلا كقوله : [وافر]

و نكرم جارنا ما دام فينا ... و نتبعه الكرامة حيث مالا

فإن إتباعه جاره الكرامة حيث مال ممتنع عادة لا عقلا ، وإن كان من نقلنا عنه نقل[11] أنواع / المبالغة و لم يحررها ، و لا حاجة بنا نحن الآن إلا إلى هذا النوع منها خاصة ، قال و هو [و7] في البيت في قوله مزجت دمعا بدم فإنه مستحيل عادة لا عقلا ، و في استحالته عادة نظــر إلا أنه بعيــد الوقوع كما أنه وقع في كلامه هنا ، لما بين أن الجيران و جرى من التجنــيس إلا أنه لم يبــين من أي أقسامه هو ، قال و من التجنيس قول الشاعر : [بسيط]

الحمد لله منــا باعث الرسل ... هدى بأحمد منا أحمد السبل

فإن من الأولى لابتداء الغاية و الثانية لبيان الجنس ، قلت و تكرر منه هذا الكلام في عدة من

1- (ب) : التعليق .
2- (ب) : بذكر مسمى الثاني .
3- ساقط من (ب) .
4- (ب) : يوافقه .
5- سورة الرحمن ، الآيتان 5 / 6 .
6- الحسن بن رشيق أبو علي (ت463 هـ) ، المسيلي مولدا ، اشتهر بالقيرواني ، أديب شاعر نقاد باحث ، أشهر كتبه " العمدة في صناعة الشعر و نقده " ، الأعلام ، ج2 ، ص 191 .
7- ديوان ابن رشيق القيرواني ، شرح: صلاح الدين الهواري ، دار الجيل ، بيروت (د.ت) ، ص 143 .
8- (ب) : لتناسب .
9- سورة الأنبياء ، الآية 33 .
10- ساقط في (ب) .
11- سقطت من (ب) .

تواليفه ، وهذا البيت هو من قصيدة الشقراطيسي[1] والرواية فيه[2] على ما حدثني به غيـــر واحد من أشياخي إجـــازة عن الشيخين الإمامين أبي عبد الله محمد بن جابر القيسي الـــوادي آشي و شهاب الدين أحمد بن محمد المرادي[3] بسندهما فيها ، أن اللفظة التي بعد أحمد هـــي مصدر مَنَّ كقوله تعالى ﴿ فَإِمَّا مَنّاً بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاء ﴾[4] ، والعامل[5] فيه هدى أي هدى بأحمد تفضلا ، و قوله من الثانية لبيان الجنس الظاهر أنها للتبعيض على تقدير كونها حرف جـــر وهو في موضع الحال من أحمد ، والأولى مثل التي في قوله تعالى ﴿ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾[6] معنى و تقديرا ، إلا أنها في الآية صفة و هنا متعلقة بباعث .

و على أن اختلاف معنى حرف الجر المتكرر يكون تجنيسا يكون في البيت الأول فإن مـــن الجارة لتذكر للتعليل والجارة لمقلة لابتداء الغاية ، و كذا الباء الجارة لذي سلم فإنها للظرفية و الجارة لدم للتعدية ، قال بعضهم و في قوله من مقلة حشو (لأن الدمع لا يجري إلا منهـــا و أتى به للوزن لا لمعنى غيره ، و يسمون مثله الحشو)[7] ، فإن اتفق في قافية سموها قافية مستدعاة كقوله بعد : فيعرب عنه ناطق بفم ، (فإن بفم)[8] يعرف بما قبـــله و يسمون خلافها قـــافية غير مستدعاة ، و قد يجتمع في بيت الحشو و المستدعاة ، قول النابغة[9] : [بسيط]

فحسبوه فألفوه كما حسبت   تسعا و تسعين لم تنقص و لم تزد[10]

لم تنقص حشو و لم تزد مستدعاة .

قلت هذا من كلام بعض الفضلاء ، و المحققون من متأخري المشارقة لم يعدوا الحشو فـــي البديـــع و إنما ذكروه في علم المعاني بالعرض ، حيث ذكروا الإيجاز و الإطناب و المساواة فجـــرّ التقسيم إليه فذكروه ليجتنب لا أنه من محاسن الكلام ، و الجواب على إلزام النـــاظم الحشو أن بدم يطلبه مزجت و جرى فيعمل فيه جرى و يعمل مزجت في ضميره ، و يكون حينئذ جرى من مقلة بدم احتراسا ، و يسمى أيضا تكميلا ، و ربما ســـمي تتميمـــا ، و هـــو مقاصد منها أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يرفعه ، و هو أيضا أقسام منهـــا أن يكون في آخر الكلام كما هنا .

و بيانه أنه لو اقتصر على قوله مزجت دمعا بدم لكـــان مما يحتمل الكلام أن الدمع بعـــد[11] انفصاله من العين مزج بدم أجنبي و ليس هذا مقصوده ، فرفعه بقوله جرى من مقـــلة بـــدم و الباء للمصاحبة ، و منه قوله تعالى ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾[12] فلمـــا كان يتوهم أن ذلـــهم للمؤمنين لضعف احترس بما بعده ، و لذا عـــدّى أذلـــة بعلى لتضمنه

1- عبد الله بن يحيى بن علي ، أبو محمد الشقراطسي التوزري (ت466 هـ) ، فقيه مالكي من الشعراء ، عُني الأدباء بشرح قصيدته الشهيرة " الشقراطسية " ، و تخميسها و تشطيرها ، الأعلام ، ج4 ، ص 144 .

2- سقطت من (ب) .

3- أحمد بن محمد بن إبراهيم المرادي القرطبي، له " تفسير" مختصر و كتاب في المعاني والبيان، الأعلام، ج1، ص 223

4- سورة محمد ، الآية 4 .

5- كتبها الناسخ أولا " القائل " ثم استدركها في الهامش ، و في (ب) : " العامل " ثـابتة في المتن .

6- سورة آل عمران ، الآية 164 .

7- ساقط من (ب) .

8- سقط من (ب) .

9- زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المضري (توفي نحو 18 ق.هـ) ، شاعر جاهلي كانت تضرب لـه قبة بسوق عكاظ ليفاضل بين الشعراء ، اتصل بالملك النعمان بن المنذر ، الأعلام ، ج3 ، ص 54 .

10- ديوان النابغة الذبياني ، تح: أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، ط2 ، القاهرة (د.ت) ، ص 24 .

11- (ب) : مع .

12- سورة المائدة ، الآية 54 .

[ظ7]

معنى عاطفين ، و كقول كعب بن سعد الغنوي[1] : / [طويل]

حليم إذا ما الحلم زين أهله   مع الحلم في عين العدو مهيب

و الإحتراس في قوله إذا ما الحلم زين أهله ، و باقي البيت تأكيد لازمه ، فإن قلت هلا كان بدم متعلقا بمزجت و ما بينهما احتراسا ، فيكون من الإحتراس في أثناء الكلام ، نحو ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً ﴾[2] إن جعل الضمير للطعام ، و كقول طرفة[3] : [كامل]

فسقى بلادك غير مفسدها   صوب الربيع و ديمة تهمي[4]

قلت لا يزال[5] الإبهام إذ لا يفيد أن الدم من المقلة ، و لهذا البحث اقتصرت في كتاب الإستيعاب على جعل بدم يتعلق[6] بجرى ، و هو يمج بأول وهلة لأن المتبادر للفهم تعلقه[7] بمزجت .

الإعــراب :

تحتمل الهمزة الإستفهام المحض ، و التقدير إن جعلت أم إضراب انتقال لا إبطال على رأي بعضهم ، و يدل عليه تعيين الموضعين ، و هي للتعجب عند بعضهم ، قال والمعنى أنه تعجب من تذكره ، و التحقيق أنه تعجب من جعل التذكر سببا ، و يحتمل الإنكار و التوبيخ لقوله بعد أيحسب و لولا الهوى ، و من تذكر جار و مجرور ، و جيران مضاف و هو منصوب المحل من إضافة المصدر إلى المفعول ، و الفاعل ضمير المخاطب و هو محذوف أو مستتر على الرأيين .

و من للتعليل متعلقة بمزجت ، و لما كان المستفهم عنه أو المقرر أو المنكر هو موجب المزج أولاه الهمزة لأن همزة الإستفهام أو ما في حكمه لا يليها إلا المستفهم عنه أو ما في حكمه ، فإن استفهمت عن الفعل قلت أضربت زيدا أو عن المفعول قلت أزيدا ضربت و هكذا ، و لو استفهم عن الفعل لقال أمزجت .

فإن قلت (المستفهم عن كونه موجبا أحد أمرين ، والذي أولى الهمزة أحدهما ، قلت)[8] الثاني منهما معطوف على الأول ، و صحة العطف مشروطة بصحة وقوع المعطوف موقع المعطوف عليه أو بولايته للعامل على الروايتين ، و أيضا فإن كلا منها علة مستقلة يصح قيامها مقام الأخرى و هذا ظاهر على اتصال أم و فيه بحث على انقطاعها .

و بذي سلم الباء ظرفية و هو صفة جيران و عامله محذوف وجوبا أي كائنين و وقع في شرح شيخنا أبي العباس القصار التونسي رحمه الله في هذا المحل ما نصه المجرور إن تعلق

1- كعب بن سعد بن عمرو الغنوي (توفي نحو 10 ق.هـ) ، شاعر جاهلي حلو الديباجة ، أشهر شعره بائيته في رثاء أخ له قتل في حرب ذي قار، أولها: تقول ابنة العبسي قد شبت بعدنا وكل امرئ بعد الشباب يشيب ، الأعلام ، ج5 ، ص 227 .

2- سورة الإنسان ، الآية 8 .

3- طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد البكري الوائلي (ت60 ق.هـ) ، شاعر جاهلي ، أشهر شعره معلقته " لخولة أطلال ببرقة ثهمد " ، الأعلام ، ج3 ، ص 225 .

4- ديوان طرفة بن العبد ، شرح: محمد مهدي ناصر ، دار الكتب العلمية، ط3 ، بيروت 2002 ، ص 79 ، و فيه " صوب الغمام و ديمة تهمي " .

5- (ب) : يزيل .

6- (ب) : متعلقا .

7- (ب) : متعلق .

8- ساقط من (ب) .

بظاهر فلا محل له من الإعراب و يوجد مثـله كثيرا له و لابن السيد[1] شارح أبيات الجمل في شرحه المذكور ، و هي مسامحة أي لا محل لـه منـتقلا . و إلا فتظـافرت نـصوص المعربين والنحويين على أن محله النصب ، و لا يصح تعلق بذي بتـذكر ولا بمزجـت لأن المعنى يأباه، إذ لا فائدة في أن يكون[2] تذكرتهم بذي سلم أو غيره على التعيين موجبه للبكـاء بل موجبه تذكرهم (حيث كان) [3] ، و مثله مزجت الدمع بذي سلم ، ولا يـصح أن يتعلـق بلفظ جيران لما فيه من معنى المجاورة لأنه لا يدل إلا على أنهم جاوروه بذي سلم ، وأما أن موضعهم هو ذو سلم، فلا يفوت المقصود من براعة الإستهلال كما تقدم.

و دمعا مفعول بمزجت ، و من مقلة متعلق بجرى ، و من لابتـداء الغاية في المكان ، و بدم متعلق بجرى أيضا و ينازعه فيه مزجت ، فيعمل مزجت في ضميره أي مزجـت دمعـا[4] و تقدم ما في تعلقه بمزجت من البحث في ترجمة البديع فراجعـه / ، و البـاء فـي بـدم للمصاحبة أي مع دم و قيل للإلصاق ، و جملة جرى و ما يتعلق به صفة لدمع ، ويصح أن يكون بدم حالا من دمع أو صفة بالجملة أي كائنا أو جاريا و هذا أظهر مع دم . **[و8]**

و أم متصلة لوقوعها بـعد[5] همزة يصلح في موضعها أيّ ، و هبـت معطوف على تذكر و التقدير أمن أجل أن تذكرت أم من أجل أن هبت أو أم من هبوب لأن الفعل إذا عطف على الإسم أو بالعكس فلا بد من رد أحدهما إلى الآخر بالتأويل . و ذكر شيخنا أبو العباس[6] أنها منقطعة و هي استئناف سؤال على جهة الإنكار و التعجب ، و تقدم الإضـراب عـن الأول انتقالا لا إبطالا ، و المعنى بل أهبت الريح و أومض البرق[7] فبكيت ولا يصح اتصالها لأن المتصلة عاطفة ، فتكون هنا عطفت جملة فعلية من غير تقدير حرف مصدري ولا ملفوظ به على اسم مجرور و هو غير جائز .

قلت: و ما قدمناه من الإعراب و التقدير مشهور معلوم ، لا حاجة إلى الإستشهاد عليه بنص أو مثال ، و من تلقاء متعلق بهبت ، و من لابتداء الغاية المكانية و يحتمل أن تكون حالا من الريح ، و أومض معطوف على هبت ، و في الظلماء متعلق به أو حال من البرق أي كائنـا أو باديا و مثله في الوجهين من إضم ، و من لابتـداء الغاية المكانية ، و أجاز بعـضهم أن تكون في الظلماء حالا من إضم من نعت النكرة المتقدم عليها و لا كبير معنى له .

العروض :

ولا يحتاج[8] إلى تكرار هذه الترجمة في غير هذا الموضع ، لأنه تطويل مـن غيـر كبير فائدة ، فنقول هذه القصيدة من البحر المسمى بالبسيط ، (و سمّي بسيطا)[9] لانبساطه عن بحري الطويل و المديد ، فجاء وسطه فعلن و آخره فعلـن ، حكـاه الأخفـش[10] عـن

1- أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي النحوي (ت521هـ) ، كان عالماً بالآداب واللغات ، من كتبه " شرح سقط الزند " ، و" الحلل في شرح أبيات الجمل " و غيرهما ، وفيات الأعيان ، ج3 ، ص 96 .
2- سقط من (ب) .
3- سقط من (ب) .
4- سقطت من (ب) .
5- (ب) : مع .
6- هو أبو العباس القصار التونسي .
7- سقطت من (ب) .
8- (ب) : قلت و لا يحتاج ..
9- سقط من (ب) .
10- أبو الحسن سعيد بن مسعدة البلخي ثم البصري ، يعرف بالاخفش الاوسط (ت215 هـ) ، نحوي عالم باللغة و الادب صنف كتبا منها " تفسير معاني القرآن " و " الاشتقاق " ، زاد في العروض بحر " الخبب " ، الأعلام، ج3 ، ص 101 .

الخليل[1] ، و قيل لانبساط الأسباب في أوائل أجزائه السباعية قاله الزجّاج[2]، و قيل لانبساط الحركات في عروضه و ضربه ، و هو مثـمن في أصل الدائـرة مبنـي مـن مـستفعلن فـاعلن و مثلها إلا أن عروضه وهو الجزء الأخير من الشطر الأول من البيت لم تستعمله العرب إلا مخبونة و كذلك ضربها الأول و الضرب الأخير من الشطر الثـاني ، و معنـى الخبـن حذف الثاني الساكن فيصير فاعلن فعلن ، و له ثلاثة أعـاريض و سـتة أضـرب فعروضه الأولى مخبونة و لها ضربان ، ضرب مثلها و بيته : [بسيط]

يا حار لا أرمين منكم بداهية　　　لم يلقها سوقة قبلي و لا ملك[3]

(و هذه القصيدة[4] من العروض الأولى من الضرب الأول كهذا البيت ، إلا أن الجـزء)[5] الأول من البيت الأول في كلام الناظم مخبون لأنه حذف ثانيه الساكن ، و يجوز فـي هـذا البحر من الزحاف الخبن و الطي و الخبل ، فالخبن تقدم ، و الطي حذف الرابع الساكن مـن مستفعلن ، و الخبل اجتماعهما .

فالخبن يصير فاعلن فعلن و مستفعلن مفاعلن كما في جزء الناظم الأول ، و هو حسن لاسيما في الخماسي لاعتماده على الوتـد بعده ، و الطـي يصير مستفعلن مفتعلن (و هو صـالح و الخبل يصير مستفعلن متعلن)[6] فينقل في الوزن إلى فعلتن .

و في البيت الأول التصريع ، و حقيقته في علم العروض أن يوافق العروض الضرب / في **[ظ8]** الشيء الذي يختص بالضرب ، و قسمه ابن الأثير[7] في كتاب المثل السائر إلى سبعة أقسام باصطلاح آخر[8] ، و أن هذا الذي عند الناظم هو السادس ، و يـسمى التـصريع المعلـق و هو أن يكون المصراع الأول معلقـا على صفة يأتي ذكرها في أول الثاني ، وهو معيب جدا ، و منه قول امرئ القيس : [طويل]

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي　　　بصبح و ما الإصباح منك بأمثل[9]

فإن انجلي معلق على بصبح ، و منه قول المتنبي : [بسيط]

قد علم البين منا البين أجفانا　　　تدمى و آلف في ذا القلب أحزانا[10]

فعلق أجفانا على تدمى .

و اعترضه صاحب الفلك الدائر على المثل السائر[11] بأن السادس هو الثاني ، وحقيقة عنده أن يكون المصراع الأول مستقلا بنفسه والثاني غير مستقل بنفسه بل مرتبطا بالأول ، و منه

1- الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي (ت170 هـ) ، من أئمة اللغة و الادب ، واضع علم العروض ، له كتب منها معجم " العين " ، الأعلام ، ج2 ، ص 314 .

2- إبراهيم بن السري بن سهل ، أبو إسحاق الزجاج (ت311 هـ) ، عالم بالنحو و اللغة ، من كتبه " معاني القرآن " و" الاشتقاق " و " فعلت وأفعلت ، الأعلام ، ج1 ، ص 40 .

3- البيت لزهير بن أبي سلمى ، ديوان زهير بن أبي سلمى ، دار الكتب العلمية ، ط3 ، بيروت 2003 ، ص 81 .

4- يعني القصيدة المشروحة (البردة) .

5- ساقط من (ب) .

6- ساقط من (ب) .

7- ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد الشيباني (ت637 هـ) ، وزير من العلماء الكتاب المترسلين ، أشهر تآليفه " المثل السائر في أداب الكاتب و الشاعر " ، الأعلام ، ج8 ، ص 31 .

8- ضياء الدين بن الأثير : المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر ج 1 ، تح : محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية بيروت 1995 ، ص 237 .

9- ديوان امرئ القيس ، ص 49 .

10- ديوان المتنبي ، ص 181 .

11- هو ابن أبي الحديد (ت 656 هـ) ، ترجمته في الأعلام ، ج3 ، ص 289 .

قفا نبك.. البيت لاستقلال مصراعه الأول و ارتباط الثاني به ، قال فإن كان هذا حسنا فالثاني كذلك و إن كان معيبا جدا فالثاني مثله .
و ابن الأثير لم يقل في الثاني أنه معيب و أطال في بيان موافقتها و إليك النظر في الفصل بينهما فإنا خشينا السآمة ، و أقرب الأمثلة المبينة للفرق بينهما أن يجعل ما ذكر في السادس كالموصول المفتقر لصلته و ما ذكر في الثاني كالجملة الكائنة صفة للنكرة قبلها في افتقارها إلى موصوفها واستغناء الموصوف في إفادة مدلول عنها فتأمله .

الإشارات التصوفية[1] :

فتح الله بصائرنا لمعرفة ما أريد بنا[2] و للعمل بما علمنا بمنّه و كرمه[3] و فضله اعلم رحمك الله أنه من المحتمل أن يكون أجرى الله[4] على لسان هذا الناظم الإبتداء بذكر البكاء و الإستفهام عن موجب مزج الدمع بالدم لأن المزج مستحق الكينونة ، و لا ينبغي أن يكون عن الإتصاف به بينونة ، فإن الله سبحانه و تعالى لما أخبر[5] عن كيفية خلقه الموجودات قدم في الذكر ما هو أعظم المصيبات ، و الغاية القصوى مما سكبت من أجل حلوله العبرات وهو الموت ، الذي لا بد منه و لا محيد لكل مخلوق ذي روح عنه ، فقال تعالى ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾[6] ، فمن علم أول شيء أن الموت مخلوق له و حلوله به لا مرد له ، فكيف يلذ قرارا أم كيف يضحك سرا أو جهارا و ليت إذا كان الموت لم يكن سواه و لا أهوال و محاسبات يكون بعدها للمرء في إحدى الدارين مثواه : [وافر]

و لو أنا إذا متنا تركنا	لكان الموت راحة كل حي
و لكنا إذا متنا نشرنا	و نسأل بعد ذا عن كل شي

قال الله تعالى ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ ، ولا يخفى أن الإبتلاء للمجازاة ، و روينا من حديث أنس بن مالك[7] رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا و لبكيتم كثيرا »[9] وفي بعض الروايات « وما تلذذتم بالنساء على الفرش و لخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله»[9] ، و يروى أنه صلى الله عليه وسلم قال بإثر هذا « يا ليتني كنت شجرة تعضد »[8] ، رفعه بعضهم و وقفه بعضهم. / [و9]
[و قال تعالى]* ﴿ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلاً وَ لْيَبْكُواْ كَثِيراً ﴾[9] ، و من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول [الله صلى]* الله عليه و سلم [قال][10] « لا يلج النار أحد بكى من خشية الله عز وجل حتى يعود اللبن في الضرع ولا يجتمع غبار في سبيل الله عز وجل ودخان

1- (ب) : الصوفية .
2- (ب) : منا .
3- سقطت من (ب) .
4- (ب) : الله تعالى .
5- (ب) : أخبرنا .
6- سورة الملك ، الآية 2 .
7- أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم النجاري الخزرجي الانصاري (ت93 هـ) ، صحابي خدم النبي (ص) ، من رواة الحديث المكثرين ، الأعلام ، ج2 ، ص 24 .
8- سنن ابن ماجه : 4190 ، و فيه " و الله لوددت أني كنت شجرة تعضد " ، باب الحزن و البكاء .
* هذه الأجزاء ناقصة بسبب تمزق طرف الورقة ، و المثبت من (ب) .
9- سورة التوبة ، الآية 82 .
10- زيادة في (ب) ، سقطت من (أ) .

جهنـــم في منخري مسلم أبدا »[1] ، و كفى بهذا دليـــلا على الرغبة [في]* استدامة البكـــاء والحزن ، و موجب البكاء خوف الله أن يحل به مكروه أو يفوته محبوب .
[و يحـــ]تمل* أن يكون تنبيه الله تعالى إيـــاك ببكاء الناظم من أجل تذكر جيران بذي ســـلم أن يبكي خوفا أن لا يكون مجاورا لأهل الجنة فيها[2] لأنهم الكائنون بذي سلم ، فإن الجنـــة دار السلام ﴿ وَاللّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلاَمِ ﴾[3] ، ﴿ تَحِيَّـــتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ ﴾[4] ، ﴿ سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ﴾[5] ، و أن يكون من أهل النار و كـــنّى عنها بكاظمة فإنها تطبق علـــى أهلهـــا و تكظمهم ، و تكاد تميز من الغيظ في يوم القيامة ، و هي الآن كاظمة أجارنا الله تعالى منها بفضله . و أيضا بهبوب الريح و إيماض البرق فإن في الحديث إذا كانت الريح و الـــسحاب تغير رسول الله صلى الله عليه و سلم و دخل و خرج ، و عرف[6] ذلك منه حتى قيل له في ذلك فقال ما أدري و لعلها كما قالت عاد ﴿ هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ﴾ فإذا أمطر سري عنه[7] و قال الله تعالى ﴿ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِـــيمٌ ﴾[8] لا سيما و الناظم وحّـــدها ، و أما البرق فقال تعـــالى ﴿ يَجْعَلُونَ أَصْابِعَهُمْ فِي آذَانِـــهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ ﴾ ، ثم قال ﴿ يَكَادُ الْبَـــرْقُ يَخْطَـــفُ أَبْصَارَهُمْ ﴾[9] ، و لأن البرق نار أو كالنار .
بل إنما كنى عن جهنم بكاظمة أي مكظومة لأنها مقيدة عن الخلائق اليوم ، ففاعـــل بمعنـــى المفعول كما دافق بمعنى مدفوق و شَعر قاط بمعنى مقطوط و كاتم أي مكتوم ، و يحتمل أن يكون بمعنى فاعل على حقيقته فهي كاظمة اليوم غيظها وفي القيامة تبديه انتقاما من أعـــداء الله ، قال الله تعالى ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾[10] ، و من غيظها قولها ﴿ هَلْ مِن مَّزِيـــدٍ﴾[10] إذا قيل لها ﴿ هَلِ امْتَلَأْتِ ﴾[11] ، فعل المتغيظ الذي لا يشبعه انتقام . و من الأول ما روينـــا في صحيح الموطأ و غيره من قوله صلى الله عليه و سلم: « اشتكت النار إلى ربها فقالت يا رب أكل بعضي بعضا ، فـــأذِنَ لها بنفـــسين في كل عام ، نفس في الـــشتاء و نفـــس فـــي الصيف»[12] الحديث ، فهل هذا إلا مما يدل إلا على أنها مكظومة ، و يحتمل أن يراد بالريح ريحها و بإيماض البرق لهبها ولعله العنق الذي يخرج منها لالتقاط أهلها فلهي أعرف بهـــم من الوالدة بولدها كما قال صلى الله عليه و سلم ، أجارنا الله منها بمنّـــه[13] ، ثـــم تلـــتقطهم التقاط الطير حب السمسم ، أو حين تزفر زفرة فلا يبقى ملك مقرب و لا نبي مرسل إلا جثا على ركبتيه كما في الصحيح ، ويدل عليه قوله في الظلماء فإنها ســـوداء مظلمـــة ، ففـــي الحديث " أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت ثم حتى ابيضت ثم حتى اسودت فهي سوداء

1- مستدرك الحاكم : 7667 ، كتاب التوبة و الإنابة .
2- سقطت من (ب) .
3- سورة يونس ، الآية 25 .
4- سورة يونس ، الآية 10 .
5- سورة الرعد ، الآية 24 .
6- (ب) : عُـلـم .
7- الحديث بغير هذا اللفظ في سنن النسائي الكبرى برقم 1831 .
8- سورة الأحقاف ، الآية 24 .
9- سورة البقرة ، الآيتان 19 و 20 .
10- سورة الملك ، الآية 8 .
11- سورة ق ، الآية 30 .
12- الموطأ : 27 ، باب النهي عن الصلاة بالهاجرة .
13- (ب) : بمنّه و كرمه .

مظلمة "[1] ، فإن قدرت خطابه هذا لمن بكى فظاهر ، و إن قدرته لمن لم يبك فلعله من تجاهل العارف أو من تنزيل الجاهل منزلة العالم ، لأن معه ما إن تأمله أدنى تأمل علم حقيقتهما وعظيم شأنهما ، كقوله تعالى ﴿ وَ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ ﴾[2] خاطبهم بإن التي يخاطب بها الشاك و إن كان ريبهم محققا تنبيها على أنه لا ينبغي لهم أن يشكوا ، و إنما نفرض شكهم كما نفرض المحالات لأن الأمر ظاهر .

و كذا هنا أن ينبغي لكل مكلف أن يبكي مخافة فوت الجنان أو مخافة مقاسات / النيران حتى أنه لا يسأل عن بكائه بل عن أحد السببين فإنه ليس بعد الموت من مستعتب ، و لا بعد **[9ظ]** الدنيا من دار إلا الجنة أو النار ، و لا شك أن البكاء يكون للأمرين ، على أن فوت نعيم الجنان[3] أسهل و أيسر من مقاسات النيران ، أدخلنا الله الجنة وأجارنا من النار برحمته .

وإنما وقف للإبتداء بذكر الجنة و إن كان درأ المفاسد أهم لقوله سبحانه و تعالى فيما حكى عنه رسول الله صلى الله عليه و سلم « إن رحمتي سبقت غضبي »[4] .

و يحتمل أن يكون[5] الناظم أراد بالجيران محمدا صلى الله عليه وسلم و أصحابه ، فإن ذكر المحبوب يوجب بكاء المحب ، إما لمجرد المحبة فإنه لا يتملأ منه و إن كان حاضرا ، و إما للإشتياق إليه لمفارقته ، أو تعظيما و إجلالا أو غير ذلك ، و لقد كان كثير من الصحابة رضوان الله عليهم (يدركه شبه الموت إذا ذكر النبي صلى الله عليه و سلم ، فمنهم من يضطرب ، و منهم من يصفر لونه ، و منهم من يغشى عليه ، كعبد الله بن مسعود و غيره رضوان الله عليهم جميعا)[6] ، و كذا جماعة من التابعين و السلف الصالح ، حشرنا الله في زمرتهم و أماتنا على حب نبيه محمد صلى الله عليه و سلم و سائر أنبيائه عليهم السلام و حبّهم .

و يحتمل الوجه الأول أن يكون على الترقي ، فإنه لما ذكر البكاء على الجنة إما خوف ألا يدخلها أو تأسفا على فراقها حين أخرج منها آدم عليه السلام تذكر النار و ألمها ، فأضرب عن ذلك فاستفهم عن الموجب الآخر ، و هو خوف النار لا سيما على القول بانفصالها أم على أن هذا التقرير[7] متأت مع الإتصال .

و في كلامه أيضا إشارة إلى أن الحزن لا ينبغي أن يفارق المكلف لا باطنا كما في التذكر و لا ظاهرا كما يشاهد بحواسه الظاهرة ، ما لا ينفك الوجود عنه غالبا من ريح أو برق [ليلا][8] ولا نهارا ، كما عند هبوب الريح من تلقاء كاظمة فإنه لا يتحقق صوبها حق التحقيق إلا مع النظر إلى دلائل كونها من تلك الجهة ، و ذلك نهارا لا ليلا كما عند إيماض البرق في الظلماء ، و كأنه حذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني ، أي هبت الريح في الضوء من تلقاء.. فيكون فيه على هذا طباق خفي فيلحق هذا بترجمة البديع ، و مثاله ﴿ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَاراً﴾[9] لأن الإغراق يستلزم الماء .

1- كنز العمال : 39483 .
2- سورة البقرة ، الآية 23 .
3-(ب) : الجنة .
4- صحيح البخاري : 7422 .
5- سقطت من (ب) .
6- ساقط من (ب) .
7- (ب) : القول .
8- زيادة في (ب) ، ساقطة من (أ) .
9- سورة نوح ، الآية 25 .

و يحتمل أن يكون[1] ابتداؤه بالبكاء تنصلا منه، و توبة مما جنت يده في سالف الدهر كما نبه عليه في قوله[2]: [بسيط]

خدمته بمديح أستقيل به   ذنوب عمر مضى في الشعر و الخدم

أو يكون تنبيها منه على أنه لم يبق له رجاء في كشف ما نزل به إلا بالله ، و أن أمره بلغ منتهاه ﴿ مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَ أَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾[3] ، ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾[4] ، ﴿ فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ ﴾[5] .

و بالجملة فالتزام الحزن و البكاء خوفا من نقم الله[6] لا يسكن إلا قلب تقي كما قال بشر الحافي[7]: الخوف ملك لا يسكن إلا في قلب تقي ، و قال شاه الكرماني[8]: علامة الخوف من الله الحزن الدائم ، و قال معاذ بن جبل[9] : المؤمن لا يطمئن قلبه و لا تسكن روعته حتى يخلف جسر جهنم وراء ظهره ، و قال سفيان بن عيينة[10] : لو أن محزونا بكى في أمة لرحم الله تلك الأمة ببكائه .

و قال الفضيل[11] : خمس من علامات الشقاء ، القسوة في القلب و جمود العين و قلة الحياء و الرغبة في الدنيا / و طول الأمل . **[و10]**

و قال بعض السلف أكثر ما يجده المؤمن في صحيفته من الحسنات الهم والحزن و أكثرهم على أن المحمود من الحزن ما يتعلق بالآخرة، و قال أبو عثمان الجيري : في الحزن بكل وجه فضيلة و راحة للمؤمن من المعصية[12] ، لأنه إن لم يوجب تخصيصا يوجب تمحيصا .

تنبيه : قال الجيري: عيب الخائف في خوفه السكون إلى خوفه لأنه أمر خفي ، و في الكلام من الإشارات أكثر من هذا ، و فيما ذكرناه مع التوفيق مقنع و الله المستعان .

1- سقطت من (ب) .
2- البيت للبوصيري من النص المشروح .
3- سورة الأبنياء ، الآية 83 .
4- سورة النمل ، الآية 62 .
5- سورة الأنعام ، الآية 43 .
6- (ب) : الله تعالى .
7- بشر بن الحارث بن علي بن عبد الرحمن المروزي (ت227 هـ) ، من كبار الصالحين ، له في الزهد و الورع أخبار و هو من ثقات رجال الحديث ، الأعلام ، ج2 ، ص 54 .
8- أبو الفوارس شاه بن شجاع الكرماني ، صالح من أبناء الملوك ، عاش في القرن الثالث للهجرة ، ينظر: سير أعلام النبلاء ، ج14 ، ص 302 .
9- معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الانصاري الخزرجي (ت18 هـ) ، أبو عبد الرحمن: صحابي جليل ، كان أعلم الأمة بالحلال و الحرام ، الأعلام ، ج7 ، ص 258 .
10- سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي (ت198 هـ) ، حافظ ثقة واسع العلم ، الأعلام ، ج3 ، ص 105 .
11- الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي اليربوعي (ت187 هـ) ، شيخ الحرم المكي ، محدث من أكابر العباد الصلحاء الأعلام ، ج5 ، ص 153 .
12- (ب) : راحة و فضيلة إلا لمعصية .

فَمَا لِعَيْنَيْكَ إنْ قُلْتَ اكْفُفَا هَمَتَــا وَ مَا لِقَلْبِكَ إِنْ قُلْتَ اسْتَفِقْ يَــهِمِ
أَيَحْسِبُ الصَّبُّ أَنَّ الحُبَّ مُنْكَتِــمٌ مَا بَيْنَ مُنْسَجِمٍ مِنْهُ وَ مُضْطَــرِمِ

شرح الغريب :

اكففا احبسا عن البكاء ، كففت الرجل عن الشيء حبسته عنه ، و كف عن كذا إذا لم يفعلـــه . و همتا سالتا ، يقال همى الماء و الدمع يهمي هميا و هميانا إذا سال .
و العين حاسة الرؤية ، و هي مؤنثة ، و الجمع أعين و عيون و أعيان ، و تصغيرها عيينة ومنه قيل ذو العُيُيْنتين (للجاسوس و لا تقل ذو العينتين)[1] .
و القلب الفؤاد ، و قد يعبر به عن العقل ، قال القرافي[2] قوله تعالى[3] ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾[4] أي عقل ، و هو شكل صنوبري و موضعه من الجسد (وسط الصدر و هو منبع الحياة و يغذو الجسم بالحياة ، و لولا القلب كان الجسم)[5] كسائر الأجسام النامية غير الحساسة[6] ، و هو عنصر لحرارة الجسم ، و ينعقد في العرق المسمى بالأبهر ما ينفده من الدماء ، و بالجملة هو أحد أصول أعضاء الجسم الأربعة ، و قال الأصمعي وفي البطن الفؤاد و هو القلب و منه سويداؤه و هي علقة سوداء إذا شق القلب بدت كأنها قطعـــة كبـــد و حدث سليمان بن حرب الواسمي قال حدثنا حماد بن زيد[7] عن العاصم بن وهلة عن أبـــي صالح عن أبي هريرة قال « القلب ملك ، و للملك جنود ، فرجلاه بريداه ، و يـــداه جناحـــاه و العينان مسلحته ، و الأذنان قمع ، و اللسان ترجمان ، و الكبد رحمة ، و الكليتان مكيـــدة و الطحال ضحك ، و الرئة نفس ، فإذا صلح الملك صلحت الجنود ، و إذا فسد الملك فسدت الجنود »[8] .
و استفق معناه أفق قال الجوهري: استفاق من مرضه و من سكره بمعنى أفاق[9] .
و يـــهم مضارع هام على وجهه ، يهيم هيما و هيمانـــا ذهب من العشق أو غيره ، و قلـــب مستهام أي هائم و الهيام كالجنون من النشوة[10] ، و هام في العشق لا يدري أين هو .
أيحسب معناه أيظـــن ، يقال منه حسب يحسب بكسر العين في الماضي و المستقبل ، و هـــو شـــاذ ، و نقل في التسهيل أن فيه الفتح أيضا ، و القياس في كل فعل مكـــسور العـــين فـــي الماضي أن تفتح عينه في المضارع إلا ما شـــذ بالكسر خاصة ، وهي ألفاظ محفوظة منهـــا ومق يمق و ما جاء بالوجهين منها حسب .
الصب فعل بكسر العين من الصبابة و هو رقة العيش و حرارته ، قال الجـــوهري: " يقـــال رجل صب عاشق مشتاق "[11] ، و قيل مستهام ، و قد صببت يا رجل ، قال : [متقارب]

1- سقط من (ب) .
2- أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن ، أبو العباس شهاب الدين الصنهاجي القرافي (ت684 هـ) ، من علماء المالكية الأعلام ، ج1 ، ص 94 .
3- (ب) : سبحانه و تعالى .
4- سورة ق ، الآية 37 .
5- ساقط من (ب) .
6- (ب) : الحاسة .
7- حماد بن زيد بن درهم الازدي الجهضمي البصري (ت179 هـ) ، من حفاظ الحديث المجودين، الأعلام، ج2 ، ص271
8- الحديث بغير هذا اللفظ في كنز العمال : 1205 .
9- نص الجوهري: " و استفاق من مرضه و من سكره و أفاق بمعنى " ، الصحاح ، ج5 ، ص 233 .
10- (ب) : العشق .
11- الصحاح ، ج2 ، ص 180 .

و لست تصبب إلى الظاعنين إذا ما صديقك لم يصبب[1] /

[ظ10] و لا بـــد من ذكر بعض ما قيل في حقيقة ، الحب و العشق و الفرق بينهما ، فإن الصب هو العاشق المستهام ، و الحب و الهوى مترادفان ، روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « إياكم و النظرة فإنها تزرع في القلب شهوة و كفى بها فتنة » ، و قال صلى الله عليه وسلم « الأرواح جنـــود مجندة فما تعارف منها ائتـــلف ، و ما تنـــاكر منها اختلف »[2] ، و عقده أبو نواس[3] قال : [بسيط]

إن القلوب لأجنـــاد مجنـــدة لله في الأرض بالآلاء تعترف
فما تعارف منها فهو مؤتلف و ما تنـــاكر منها فهو مختلف[4]

و عن علي[5] : آفة العقل الهوى ، و عن ابن عباس رضي الله عنهما : الهوى إلـــه معبـــود قال تعالى ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ﴾[6] ، و قال بعضهم الحب صفاء الحال بين الحبيب و حبيبه ، و قال أبقراط[7] الهوى امتزاج النفس بالنفس كالماء بمثله عسر تخليـــصه بـــل لا يمكن ، و النفس ألطف من الماء و أرق مسلكا ، فلذلك لا يزيله مرّ الليالي ، دق عن الأوهام مسلكه و خفي عن الأبصار موضعه و حارت العقول[8] دون كيفية تمكنه ، غير أن ابتـــداء حركته و عظم سلطانه من القلب ، ثم يعم الأعضاء فتبدو رعدة الأطراف و صفرة الألـــوان و لجلجة الكلام و ضعف الرأي و ثقل اللسان ، حتى ينسب صاحبه إلى النقص ، و وصـــفه أعرابي فقال: أيدوى به النفوس الصحاح , و تسيـــل منه الأرواح , و هو سقم مكتتم و جمر مضطرم ، فالقلوب به منضجة و العيون ساكبة .

قلت و لعل الناظم من قول الأعرابي أخذ قوله فما لعينيك و ما لقلبك ، و عن المظفـــر بـــن يحي أحب رجل امرأة دونه في القدر فعذل فقال لا تلم مجبرا على سقمه فالمقر على نفـــسه مستغن عن منازعة خصمه ، و إنما يلام من اقترف ما يقدر على تركه ، و ليس الهوى إلى الرأي فيملكه و لا إلى العقل فيدبره ، بل قدرته أغلب وجانبه أعز من نفود حيلة حازم فيـــه ولطف محتال .

و عاتبت امرأة من المدينة أخرى على هوى لها ، فقالت يقال في الحكمة الغابرة: لا تلـــومن من أساء بك الظن[9] إذا جعلت نفسك[10] هدفا للتهمة ، و من لم يكن عونا على نفـــسه مـــع خصمه لم يكن معه شيء من عقدة الرأي ، و من أقدم على هوى و هو يعلم ما فيه من سوء المغبة سلط على نفسه لسان العذل و منع الحزم ، فقالت المعذولة ليس أمر الهوى إلى الرأي

1- نسب البيت للكميت في تاج العروس ، ج 3 ، ص 181 ، و لم يرد في ديوانه .
2- صحيح البخاري : 3336 ، باب الأرواح جنود مجندة .
3- الحسن بن هانئ بن عبد الاول بن صباح (ت198 هـ) ، شاعر عباسي مجدد ، الأعلام ، ج2 ، ص 225 .
4- ديوان أبي نواس : تح: سليم قهوجي ، دار الجيل ، بيروت 2003 ، ص 587 .
5- (ب) : رضي الله عنه ، و هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي (ت40 هـ) ، رابع الخلفاء الراشيدن أحد العشرة المبشرين و ابن عم النبي و صهره ، أحد الشجعان الابطال من أكابر الخطباء و العلماء بالقضاء و أول الناس إسلاما بعد السيدة خديجة ، له خطب و شعر و حكم ، الأعلام ، ج4 ، ص 295 .
6- سورة الجاثية ، الآية 23 .
7- من أشهر الأطباء الأقدمين اليونان (ت377ق.م) ، نقلت بعض مصنفاته إلى العربية ، تنظر ترجمته في : المنجد في اللغة و الأعلام ، دار المشرق ، ط 23 ، بيروت 1978 ، ص 138 .
8- (ب) : الأفكار .
9- سقطت من (ب) .
10- (ب) : من نفسك .

فيملكه و لا إلى العقل فيدبره ، و هو أغلب قدرة و أمنع جانبا من أن تنــفذ فيه حيلة الحازم أو ما سمعت قوله : [خفيف]

ليس خطب الهوى بخطب يسير لا ينبئـــك عنه مثل خبـــير
ليس خطب الهوى يدبر بالرأي و لا بالقيـــاس و التفكـــير
إنما الأمر في الهوى خطرات محدثات الأمور بعد الأمور

و قالوا العشق شدة ، و أكثر من الحب الكلف و أكثر منه الشغف و الهيام ، و الفـــرق بـــين الحب والعشق أن العشق مقرون بالشهوة و الحب مجرد عنها غالبا ، ﴿ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾[1] .

و قال بعض المتكلمين العشق إرادة تصدر / عن فرط ميل اللحظ و كثرة الإستحسان بمناسبة [و11] روحانية و مجاذبة مؤلفة فلكية ، غير أن الإنسان يتعرض فيعجبه أن يقع ، و هو مخصوص بالشباب فإن أصاب مسنا فتلك فتنة ، و ذهب كثير من الطبيعيين و المتطببين إلى أنه طمـــع يتولد في القلب و ينمو و تسري إليه مواد الحركة ، فكلما قوي ازداد صاحبه فـــي الإهتيـــاج و اللجاج و التمادي في الفكر و الهيمان و ضيق الصدر ، فإذا فسد الفكر أدى إلى الجنـــون فربما قتل العاشق نفسه أو مات غما و حزنا أو تنفس الصعداء فتخفي روحه في أمور قلبـــه وينضم القلب عليه فلا يفرح حتى يموت ، وربما رأى معشوقه فيموت ، و أنت ترى دمه[2] يهرب و لونه يستحيل عند ذكر من يحب .

و قال بعض الأطبـــاء : إن سبب تمكنه الفراغ و كثرة حديث النفـــس و هو حرفة البطالين و فيما قاله نظر ، و هو مع التعفف شريف ، روى ابن عباس رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم قال « من عشق فعف ثم مات مات شهيدا»[3] و تلا ﴿ الْأَخِلَّـــاء يَوْمَئِـــذٍ بَعْـــضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾[4] ، و العفاف عن البذل كالإستطاعة مع الفعل ، كما قـــال صـــريع الغواني[5] : [طويل]

و ما ذمي الأيام إن لست مادحا لعهد ليـــاليها التي سبقت قبل
ألا رب يوم صادق العيش نلـــته بها و نداماي العفـــافة و البذل

و قال نفطويه[6] : [كامل]

ليس الظريف بكامل في ظرفه حتى يكون عن الحرام عفيـــفا
و إذا تعفف عن محـــارم ربه فهناك يدعى في الأنـــام ظريفا

والكلام في الحب و ما يتعلق به كثير جدا ، و غرضنا الإيجاز و التنبيه على أوائل الأمور .

منكتم مستتر اسم فاعل من انكتم مطاوع كتمه فانكتم ، يقول كتمت الشيء كتمـــا و كتمانـــا وأكتمته أيضا و سحاب منكتم لا رعد فيه ، و سر كاتم أي مكتوم ، و مكتّم بالتشديد يولغ في كتمانه ، و استكتمته سري سألته[7] كتمه ، و كاتمني كتم عني ، و رجل كتمة كهمزة للمبالغة .

منسجم من سجم الدم سجوما و سجاما سال و انسجم أيضا ، فمنسجم اسم فاعل من انـــسجم و يستعمل أيضا سجم متعديا فيكون انسجم مطاوعة يقال سجمت العين دمعهـــا جعلـــت فيـــه

1- سورة البقرة ، الآية 222 .
2- (ب) : دمعه .
3- كنز العمال : 6999 .
4- سورة الزخرف ، الآية 67 .
5- مسلم بن الوليد ، أبو الوليد المعروف بصريع الغوانى (ت208 هـ) ، شاعر عباسي متغزل ، الأعلام، ج7 ، ص 223 .
6- إبراهيم بن محمد بن عرفة الازدي (ت323 هـ) ، إمام في النحو فقيه مسند للحديث له شعر قليل ، الأعلام ج1، ص 61
7- سقطت من (ب) .

سجوما ، و أسجمته جعلته ساجما قاله الخليل ، و عين سجوم و أرض مسجومة أي ممطـــرة و أسجمت صبت قاله الجوهري[1] .
و مضطرم ملتهب ، يقال ضرم الشيء بالكسر اشتد حـــرّه ، و ضرم الرجل اشـــتد جوعــه وضرمت النار و تضرمت و اضطرمت[2] إذا التهبت ، و أضرمتها أنا و ضـــرّمتها شـــدد للمبالغة ، و تضرم عليه أي تغضب ، والطاء في مضطرم بدل على تاء أصله مضترم على وزن مفتعل ، وإنما أبدلت لأنها حرف مستثقل مهموس فنافرت الضاد الـــذي هـــو حـــرف استعلاء و إطباق فأبدلوا منها طاء لتقاربها مع التاء في الخروج و تشاركها مع الضاد (في الإستعلاء و الإطباق فيحسن اجتماعهما ، و كـــذا يفعل بالتاء مع الطاء في افتعل من الظلـــم و مع / الصاد)[3] في افتعل من الصبر ، و منهم من يدغـــم فيقول اضّرم و يُغلّب الـــضاد ومنهم من يُغلّب الطاء فيقول اطرم و كذا اظلم و اصبر .
[ظ11]

التفسير :

أحسن ما فسر به البيت الأول ما قيل إنما استفهم عنه في البيتـــين قبلـــه مـــن أحـــد الوجهين للبكاء ، كأن المسؤول أنكر أن يكون بكـــاؤه لكل منهما ، فكأنه قال لا لواحد مـــن الأمرين وهكذا الجواب عما سئل عنه بالهمزة ، و أم إن انتفى الأمران جميعا لقوله صلى الله عليه وسلم لما قال له ذو اليدين أقصرت الصلاة أم نسيت؟ « كل ذلك لـــم يكـــن »[4] ، لأن السائل بذلك إنما يكون اعتقاده أن أحد الأمرين كائن ، فإن وافق اعتقاده فـــالجواب بتعيينـــه و لا يحصل الجواب حينئذ بنعم ولا بلا ، فإن أخطأ في اعتقاده و كـــان الأمـــران منتفيـــين فالجواب بلا ، كقول الشاعر : [طويل]

يقول عجوز مـــدرجى متـــروحا	على بابها من عند أهلي و غاديا
أذو زوجة بالمصر أم ذو خصومة	أراك لها بالبصرة العـــام ثـــاويا
فقلـــت لها لا إن أهـــلي جيـــرة	لأكـــثبة الدهنا جميعا و مالـــيا
و ما كنت مذ أبصرتني في خصومة	أراجع فيها يا ابنـــة القوم قاضيا

فلما أنكر المسؤول أن يكون السبب واحدا من الأمرين ، تبين للسائل الخطأ في اعتقاده فابتدأ السؤال عن حقيقة السبب الموجب سؤال جاهل به لا معتقد فيه أنه أحد[5] أمرين ، ولذا ســـأل بما فإنها للسؤال عن حقيقة الشيء ، بخلاف سؤاله الأول بالهمزة فإنه لأحد الأمرين ، والفاء جواب شرط مقدر ، أي إن كان حقا ما أنكرت فما لعينيك أي أيّ سبب ثبـــت أو[6] أوجـــب لعينيك إن قلت لهما اكففـــا بكاءكما أي احبساه أو كفا عنه همتا أي سالتا دمعـــا ، فـــالتمييز محذوف للعلم به[7] أي سال دمعهما ، فهو منقول عـــن الفاعـــل و التقـــدير همتـــا بالـــدمع و هذا يحتمل أمرين :
إما أن يكون دمعه متمادي السيلان فيكون قوله همتا معناه تمادتا على سيلان الـــدمع منهمـــا و إما أن يكون بكاؤه على الوجه الموصوف أولا حال الخلوة و أنه لا يبكي بحـــضرة أحـــد خشية الواشي لما اطلع السائل على أمره ، و تعجب من فرط بكائه و ظن أنه لأحد أمـــرين

1- نص الجوهري: " أسجمت السماء صبت " ، الصحاح ، ج6 ، ص 225 .
2- سقطت من (ب) .
3- ساقط من (ب) .
4- الموطأ : 211 ، باب ما يفعل من سلم من ركعتين .
5- (ب) : واحد .
6- سقطت "أو" من (ب) .
7- في (ب) : " للعين " بدل " للعلم به " .

وسأله عن ذلك تكلف الكتمان ، و مسح عينيه مثلا و أنكر أن يكون بكى فضلا عـن كونـه على أحد[1] الأمرين ، و في ضمن ذلك إنكار أن يكون من المحبين ، فيكون هو الـسؤال[2] الثاني على معنى إن صدقت في إنكار الحب ، فما لعينيك إن قلت لهما اكففا بادرتا بـسيلان الدموع فعل المحب الذي لا يتمالك على البكاء عند نـهي العاذل إيـاه[3] عنه لكونـه عـن العاذل في صمم ، بل ربما كان النهي تحريضا له على البكاء .

و الخطاب في قوله إن قلت و في لقلبك كالخطاب في قوله مزجت لأنه جار عليه ، فهو إما التفات أو تجريد أو من مخاطبة الإنسان نفسه أو من الخطاب العام .

و قال بعضهم معنى إن قلت اكففا إن أردت أن تكفا فهو / مجاز من إطلاق الـلازم و إرادة الملزوم ، فإن من أراد منك فعلا أمرك به فصدور الأمر بالفعل لازم لإرادته غالبا حتى غلط من قال الأمر بالفعل إرادته . **[و12]**

قلت قاعدة أهل السنة أن الأمر ليس الإرادة و لا يستلزمها ، فليس بينهما تلازم ، ثم الـتلازم على ما قرر صدور الفعل لا لـفظه ، و الموصوف بالمجاز اللفظ لا صدوره ، إلا أن يقال لفظه لازم لصدوره و لازم اللازم [لازم][4] ، لكن يحتمل أن يقال المجاز المرسل إنمـا أن يكون بين اللازم و الملزوم الذي لا وسط له بينهما و هو ظاهر .

و قوله و ما لقلبك يحتمل أيضا أن يكون حين تفطن له أخـذ نفسه يطلب قلبـه بالإسـتفاقة و قد كان حاله في الخلوة حال المتوله الذاهب العقل ، و خص القلب لأنه محل العقـل عنـد أكثر الفقهاء السنيين و أقـل الحكماء ، لقوله تعالى ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾[5] و أكثـر العلماء الحكماء و أقل الفقهاء على أنه في الدماغ ، و منهم من جمع بين القولين لما بينهمـا من الإتصال فإن برودة الدماغ تحفظ حرارة القلب أن لا تلتهب، و حرارة القلب تحفظ برودة الدماغ أن لا يكون عنها ....[6] لفرط البرودة فسبحان المدبر الحكيم ، لكن لا يستطيع مع أخذه إياه بالإستفاقة إلا أن يهيم أن يذهب حيره .

و يحتمل أن يكون المعنى أن حالة[7] هيمان قلبه مستدامة فمعنى يهم أن يتمادى على هيمانه ثم إن السائل بعد هذا السؤال الثاني تبين له صحة اعتقاده أولا في أن الموجب أحد الأمـرين فإنه لما لم يجبه بالتعيين عن السؤال الأول و غلط نفسه و سأله عن حقيقة الأمر فلـم يـرد عليه شيئا ، تبيّن أن جوابه أولا محض إنكار للحب .

و يحتمل أن يكون السائل على بصيرة من أول الأمر أن بكاءه ليس إلا لأحد الأمرين نعم لما أنكر سلم له تسليما جدليا و نزل نفسه منزلة الجاهل ، فسأله عن الحقيقة وتغليظه في إنكـاره حالة الحب التي لا تخفي ، فقال منكرا أيحسب الصب أي أيظن العاشق المستهام أي الـذي ولهه الحب أن حبه ينكتم له بين منسجم أي (دمع عين)[8] منسجم ، و مضطرم أي و حـرّ قلب مضطرم ، أو بين منسجم دمعه و هو العين و مضطرم حره و هـو القلـب ، هيهـات لا ينكتم له بين ذينك و لو كتمه فظنه أنه ينكتم بينهما من هيمانه و تولهه .

1- سقطت من (ب) .

2- (ب) : هذا السائل .

3- سقطت من (ب) .

4- زيادة من (ب) ، أثبتناها لظهور سقوطها من الأصل (أ) .

5- سورة الأعراف ، الآية 179 .

6- طمس بمقدار كلمة واحدة في (أ) و (ب) .

7- (ب) : أن تكون حالة .

8- سقط من (ب) .

و قوله منه الضمير يعود على الصب أي من دمعه ، و مضطرم يعني منه أي من حر قلبه .
و من أحسن ما ورد في هذا المعنى المذكور في البيتين من أن الحب لا ينكتم ، ما (أنشد العالي)[1] ، قال أنشدنا ابن الأنباري[2] ، قال أنشدنا أبو العباس أحمد بن يحي : [كامل]

من كان يزعم أن سيكتم حبه حتى يشكك فيه فهو كذوب
الحب أغلظ للفؤاد بقهره من أن يرى للستر فيه نصيب
فإذا بدا سر اللبيب فإنه لم يبد إلا و الفتى مغلوب
إني لأبغض عاشقا متسترا لم تتهمه أعين و قلوب /

و قال آخر هو يوافق ما للناظم : [بسيط] [12ظ]

كم أستر الوجد و الأجفان تهتكه و أطلع الدمع و الأحشاء تمسكه
عصاني القلب لما أن تملكه غيري فوا أسفا لو كنت أملكه
ما ضر من لم يدع مني سوى رمقي لو كان يسمح بالباقي و يتركه
لهفي على الوصل لو أني ظفرت به ما كل ما يتمنى المرء يدركه

و قال آخر : [طويل]

ألا أيها القلب الذي قاده الهوى أفق لا أقر الله عينك من قلب

ومما يدل على أن الحب لا يخفى بين[3] هذين الوصفين كون من ادعاه و ليس هو عليهما بكذب ، حكى القشيري[4] عن جعفر عن الجنيد[5] قال: " دفع السري[6] إلي رقعة و قال: هذه خير لك من سبعمائة قصة أو حديث معلق ، و في رواية يعلو فإذا فيها : [طويل]

فلما ادعيت الحب قالت كذبتني فما لي أرى الأعضاء منك كواسيا
فما الحب حتى يلصق الجلد بالحشا و تذبل حتى لا تجيب المناديا
و تنحل حتى لا يبقي لك الهوى سوى مقلة تبكي بها متماديا"[7]

و أول مراتب الحب الهوى ، ثم العلاقة و هي الحب اللازم للقلب ، ثم الكلف و هي شدة الحب ، ثم العشق وهو اسم لما فضل عن المقدار المسمى بالحب ، ثم الشعف و هو إحراق الحب للقلب مع لذة يجدها ، و كذلك اللوعة و اللاعج فإن ذلك حرقة الهوى و هذا هو الهوى المحرق ، ثم الشغف و هو أن يبلغ الحب شغاف القلب و هي جلدة دونه ، و قد قرئ المهملة والمعجمة ، ثم الجوى و هو الهوى الباطن ، ثم التتيم و يقال التيم و هو أن يستعبد الحب و منه سمي تيم الله أي عبد الله ، و منه رجل متيم ، ثم التبل و هو أن يسقمه الهوى و منه رجل متبول ، ثم التدليه و هو ذهاب العقل من الهوى و منه رجل مدله[8] ، ثم الهيام و يقال الهيوم و هو أن يذهب على وجهه لغلبة الهوى عليه و منه رجل هائم .

1- سقط من (ب) .
2- ابن الأنباري : محمد بن القاسم بن محمد بن بشار ، أبو بكر (ت328 هـ) ، من أعلم أهل زمانه بالأدب و اللغة ، و من أكثر الناس حفظا للشعر و الاخبار ، الأعلام ، ج6 ، ص 334 .
3- (ب) : لا ينفك من .
4- عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة النيسابوري القشيري (ت465 هـ) ، من أئمة التصوف ، أشهر كتبه " الرسالة القشيرية " ، الأعلام ، ج4 ، ص 57 .
5- الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي الخزاز ، أبو القاسم (ت297 هـ) ، صوفي من العلماء بالدين ، يعد شيخ الصوفية لضبط مذهبه بقواعد الكتاب و السنة ، الأعلام ، ج2 ، ص 141 .
6- سري بن المغلس السقطي ، أبو الحسن (ت253 هـ) ، من كبار المتصوفة ، وهو أول من تكلم في بغداد بأحوالهم ، وهو خال الجنيد و أستاذه ، الأعلام ، ج3 ، ص 82 .
7- الرسالة القشرية ، ج2 ، ص 490 .
8- (ب) : التوليه بدل التدليه ، و موله بدل مدله ، و كلاهما بمعنى واحد .

المعاني :

يحتمل الإستفهام بما أن يكون حقيــقا على التفسير المتقدم ، سواء كان التتيم حقيقيــا أو جدليا ، إلا أنه على كونه جدليا صورة لا اعتقادا و الباء إن كانت جوابا شرط معه و كما قدمنا فهي المسماة بالباء الفصيحة لدلالــة المعنى على المعطوف عليه المحذوف و إغنــائها عنه ، نحو التي في قولــه تعالى ﴿ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ ﴾[1] ، ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ﴾[2] ، أي فيستــقر فيها فينبت النبات فيخضر و نحو ﴿ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ ﴾[3] أي فأفطر فعليه عدة و هو كثير ، و في البيت إيجــاز الحــذف لحذف الشرط المقدر .

و يحتمل أن يكون الإستفهام استفهاما إنكاريا و هو الظاهر ، و على نحو ما كانت الهمزة في أمن تذكر على جميع الوجوه المتقدمة ، (و على هذا فالفاء عاطفة جملة / استفهامية مــراد **[و13]** الإستفهام فيها الإنكار أو واحدا من المعاني المتقدمة)[4] في أمن تذكر و كأنه ترقى[5] فــي الإنكار ، فإن الإنكار مع السؤال عن أحد الأمرين أسهل من الإنكار مع الــسؤال عــن كــل موجب ، و فائدة العطف بالفاء إفادة التعقيب[6] و المبادرة بالإنكار خوفا عليه من التلف لأجل بكائه الموصوف ، و هذا تبديــع ما قيل في أن الفاء هنا لم تكن بجواب الــشرط محــذوف كما مــرّ لم يكن لها معنى إن لم يتقدمها نسب يكون ما عطف بها مسببا عنه و لا ما يقتضي الترتيب و التعقيب[7] ، وأما بهمزة أيحسب فللإنكار ليس غيره .

و في البيت الأول إيجــاز الحذف في أماكن في الفاء في وجــه كما قررنا وجه الإختــصار وفي قوله إن قلت اكففا فإن التقدير إن قلت لهما اكففا دمعكما و فائدة حذف هذين المعمولين إيهام أنهما بمجرد سماع قول القائل ، فإن هذا من الخطاب العام كما قررنا في وجــه اكففــا تهميان و لا يحتاجان أن يكون ذلك القول لهما ، بل متى سمعتا اكففا همتا ، و إن احتمل أن يقال لغيرهما اكففا عن النظر مثلا أو غير ذلك مما ليس طلب ترك البكاء ، لأنهما لما كانت راحتهما في البكاء استكانتا إليه و ألفتاه حتى صار لهما كالنديم المحالف ، فهما يخافان على فراقه فلا يسمعان ما يمكن أن يكون زجرا إلا صرفتاه إليهما و عينتاه للزجر عن البكاء و إن لم يصرح بذلك .

و كذا[8] البحث في قوله إن قلت استفق ، فإن فيه إيجاز الحذف و التقدير إن قلت له اســتفق من ذلك ، و الفائدة كالتي في العينين[9] و لو جعل استفق لطلب الإفاقة لا بمعنى أفق لكــان المعنى آكد لأنه يكون يدل على أنه لا يحصل له الإفاقة لا بعد تكلف طلبها ، و مما يؤكد هذا المعنى الذي قررنــاه جعله همتا و يهم جوابيــن لإن قلت ، فهما لا يتخلفان عن القول كمــا لا يتخلف الجواب عن شرطه ، لأن المشروط مقدر مع شرطه[10] .

1- سورة الشعراء ، الآية 63 .
2- سورة الحج ، الآية 63 .
3- سورة البقرة ، الآية 184 .
4- ساقط من (ب) .
5- (ب) : كانت الفاء .
6- (ب) : التعصب .
7- (ب) : التعصيب .
8- (ب) : كذلك .
9- (ب) : التعيين .
10- (ب) : الشرط .

و في البيت الثاني الإحتراس في قوله منه ، إذ لولا هو لتوهم أنهما يكونان شـاهدين عليـه عن[1] المنسجم و المضطرم (و إن لم يكونا منه)[2] ، و فيه أيضا إيجاز الحذف في قوله إن المحب على مذهب البصريين ، و فيه التفات من الخطاب المتقدم إلى الغيبة ، فـإن إخبـاره عن الصب إخبار عن الغائب لأن الإسم الظاهر بمثابة الضمير الغائب[3] ، فهذا الإلتفات مثل قوله تعالى ﴿حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾[4] .

و فائدة الإلتفات ما ذكره أهل الأصول من أن ترتيب الحكم على الوصف مشعر بعلته ، نحو ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا ﴾[5] و هو هنا كذلك ، فإنه لما أنكر عليه الكتمان كأنه حرضه على إفشاء الحب لأنه لا يليق كما تقدم فأتى بلفظ الصب ليشعر بذلك ، و لـو قـال أيحسب لغاية حسن التنبيه على التعليل لهذا الحكم بهذه العلـة ، لأن الضمائر جامدة لا رائحة فيها / للتشبيه ، و يقوي أن هذا قصده عَوده إلى الخطاب في البيت بعده ، و جعل بعضهم ما من قوله ما بين موصولة و صلتها ما بعدها ، قال و فائدة الصلة تنبيه السامع على خطابـه نحو قوله : [كامل] [ظ13]

إن الذين ترونهم إخوانـكم يشفى غليل صدورهم أن تصرعوا [6]

و هنا لما أنكر الصب كون بكائه لأحد السببين[7] ، و غفل عن أن شهادة دمعه و لوعة قلبـه عليه لا يسمع معهما إنكـار و أخطأ في هذا ، نبه بقوله ما بين منسجم انتهى ، قلت و الذي يذكره أهل علم المعاني يكون بنـية المخاطب على خطأ في اعتقاده تعريف[8] المسند إليـه و ما في حكمه بالموصولية نحو البيت المذكور ، و هنا لو لم تُذكـر ما أصلا لفهم المعنـى فالمفيد لذلك ما أضيفت إليه بين ، ولا ما ولا بين التي هي للصلة كما زعم ثم الظاهر أن ما زائدة كما تأتي ، و فيه الحشو فإن ما من قوله ما بين زائدة على الأظهر لكن زيادتها مع بين كثير لاسيما وضرورة الوزن هنا داعية إليها .

البيان :

في البيت الأول تشبيه العينين بباكيين و تنزيلهما منزلة مخاطبين يعقـلان الخطـاب لأن إدراك العين أظهر من إدراك سائر الجوارح فكأنها الذات ، و كذلك يقال جاء فلان عينه أي ذاته ، (و تشبيه القلب بمخاطب)[9] و وجـه التشبيه فيه أظهر فإنه الملـك كمـا تقـدم و في الصحيح « ألا و إن في الجسد مضغة »[10] الحديث ، و فيه المجاز المرسل على رأي من فسر إن قلت بأن أردت و تقدم ما فيه ، و في البيت الثاني مجاز الحذف أي مـن دمعـه نحو ﴿ وَ اسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾[11] ، و فيه الحذف من الأواخر لدلالة الأوائـل ، فـإن التقـدير

1- (ب) : أعني .
2- سقط من (ب) .
3- سقطت من (ب) .
4- سورة يونس ، الآية 22 .
5- سورة المائدة ، الآية 38 .
6- البيت لـعبدة بن الطبيب، ينظر: المفضل الضبي، المفضليات ، تح: عبد السلام هارون و أحمد شاكر، دار المعارف، ط6 القاهرة 1989 ، ص 147 .
7- (ب) : الشيئين .
8- سقطت من (ب) .
9- قوله ساقط من (ب) .
10- صحيح البخاري : 52 ، باب فضل من استبرأ لدينه .
11- سورة يوسف ، الآية 82 .

و مضطرم منه نحو ﴿ وَ الذاكِرِينَ اللّهَ كَثِيراً وَ الذاكِرَاتِ ﴾[1] أي كثيرا ، و في منه المقـدر مجاز الحذف أي من حر قلبه نحو ﴿ مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ ﴾[2] أي أثر حافر فرسه .

البديــع :

في البيت الأول المطــابقة و تسمى الطبـاق و التضاد ، و هو الجمع بـين ضـدين أو متقابلين في الجملة ، و تكون بين اسمين نحو ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظاً وَهُمْ رُقُودٌ ﴾[3] ، و بين فعلين نحو ﴿ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء ﴾[4] الآية ، و بين حرفين نحو ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَ عَلَيْهَـا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾[5] ، و بين مختلفين نحو : ﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ ﴾[6] ، و هو في البيـت بين اكففا و همتـا و بين استفق و يهم ، و فيه مراعاة النظير لجمعه بين العـين و القلـب و فيه أيضا الموازنة و هي تساوي الكلمتين وزنا لا تقفية ، فإن كان في أحديهما أو أكثر مثل ما يقابله في الأخرى خص باسم المماثلة ، نحو ﴿ وَ نَمَارِقُ مَصْفُـوفَةٌ و زَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾[7] ﴿ وَ آتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ وَ هَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾[8] ، و منه قول أبي تمام : [طويل]

مها الوحش إلا أن هاتا أوانس قنا الخط إلا أن تلك ذوابل[9]

و هي في البيت الأول ، فإن كل كلمة من الشطر الأول موازنــة لنظيرها من الشطر الأخير إلا لفظة عينيك و قلبك فإنه من الموازنة الأكثر ، و فيه أيضا نوع من التقسيم ، و هو الذي يذكر فيه أحوال الشيء مضافا إلى كل حال ما يليق كقول المتنبي : [طويل]

سأطلب حقي بالقنا و مشائخ كأنهم من طول ما التثموا مرد /

[فعالا إذا لاقوا خفافا إذا دعوا كثيرا إذا اشتدوا قليلا إذا عدوا[10]

و هو نــفي لما خاطب الرجل أولا قسم ثانيا أحوال عينيه و قلبه ، فقال فما لعينيك كـــذا و ما لقلبك ، و فيه التجنيس الشبيه بالإشتقاق في همتا و يهم ، و في البيتين معـا المـذهب الكلامي و هو أن يورد المتكلم حجة لما يدعيه على طريقة المتكلمين نحو ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَـا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾[11] و هو في القرآن كثير ، و منه قول النابغة يعتذر إلى النعمان[12]: [طويل]

حلفت فلم أترك لنفسك ريــبة و ليس وراء الله للمرء مذهب

لئن كنت قد بلغت عني خيــانة لمبلغك الواشي أغش و أكذب

ملوك و إخوان إذا ما مدحتهم أحكــم في أموالهم و أقــرب

كفعلك في قوم أراك اصطنعتهم فلم أرهم في مدحهم لك أذنبوا[13]

أي فكما أن [من طمع] في مدحك لإكرامــك إيــاه لا يعـد ذنبـا فكـذا لمـن أكرمنــي . و هو [هنا] في الشيئين : أما في الأول فإنه لما أنكر لزمه بسؤال مسكت ، و أما في الثــاني

1- سورة الأحزاب ، الآية 35 .
2- سورة صه ، الآية 96 .
3- سورة الكهف ، الآية 18 .
4- سورة آل عمران ، الآية 26 .
5- سورة البقرة ، الآية 286 .
6- سورة الأنعام ، الآية 122 .
7- سورة الغاشية ، الآيتان 15 و 16 .
8- سورة الصافات ، الآيتان 117 و 118 .
9- ديوان أبي تمام ، ج2 ، ص 53 .
10- ديوان المتنبي ، ص 198 .
11- سورة الأنبياء ، الآية 22 .
12- النعمان بن المنذر بن الحارث الغساني (توفي نحو 28 ق هـ)، أمير بادية الشام في الجاهلية ، الأعلام، ج8 ، ص43
13- ديوان النابغة الذبياني ، ص 72 ، و في ثالثها " إذا ما أتيتهم " ، و في آخرها " فلم ترهم في شكر ذلك أذنبوا " .

فقوله أيحسب الصب أي لا يسع الإنكار مع شاهد الدمع و لازم اضطرام القلب و هو السقم ضمير الحجة ، لأن إدراك العين أظهر من إدراك السمع ، أي لا تسمع الإنكار للشاهد فكان من المذهب الكلامي ، وفي البيت الثاني القسم الأول من أقسام حسن التعليل الأربعة، و هو على التقريب أن يدعي لوصف ثابت عنه كونه غلب لحكم ، و ذلك في لفظ الصب على ما قررناه في ترجمة علم المعاني في فائدة التفات بالصب و منه قول أبي الطيب : [كامل]

لم يحك نائلك السحاب و إنما حمت به فصبيبها الرحضاء[1]

و قال أبو تمام : [كامل]

لا تنكري عطل الكريم من الغنى فالسيل حرب للمكان العالي[2]

و منه التجنيس اللاحق و هو اختلاف الكلمتين بحرف واحد و ليس أحدهما بمقارب للآخر نحو ﴿ ذَلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴾[3] ، و قال البحتري[4] : [خفيف]

هل لما فات من تلاق تلاف أم لشاك من الصبابة شاف[5]

لكن يشترط في حروف الكلمتين اتفاق الهيئات ، و ما وجد منه في البيت مختلف ، و ذلك قوله الصب والحب فهو إذا من هذا النوع ، و من نوع يقال له الخرق ، و هو ما يتفق حروف كلماته و تختلف هيئاتها نحو حبة البرد بحبة البرد ، و فيه أيضا انطباق لفظي في قوله منسجم و مضطرم .

الإعـراب :

تقدم الكلام في الفاء أهي جواب أو عاطفة ، و تقدم أن ما استفهامية و هي مبتدأ والخبر لعينيك ، و اكففا فعل أمر و فاعل ، في موضع خبر مفعول لقلت ، و همتا فعل ماض و فاعل ، في موضع جزم جواب إن جملته قلت في موضع جزم بأن ، و الظاهر أن جملة الشرط و الجزاء تفسير للجملة الأولى فلا محل لها لأنها تفسيرية ، كما أن الأولى كذلك لأنها مستأنفة أو معطوفة على المستأنفة .

وقوله اكففا بالفاء هي لغة الحجازيين في الفعل المضعف اللام الساكنة جزما نحو لم يكفف أو وقفا نحو اكفف ، و بنو تميم يستصحبون الإدغام فيهما فيقولون لم يكف وكفا ، و لم يأتوا بهمزة وصل للإستغناء عنها بحركة ما قبل المضعف ، و قال بعضهم أن إن من قوله إن قلت غايته لظهور منافرة الشرط للجزاء نحو ﴿ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً ﴾[6] الآية و كقوله صلى الله عليه وسلم « نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه»[7] فتأمل هذا الكلام و هذا التنظير فإن البحث فيه يطول .

و ذهب جماعة من المحصلين إلى أن جملة الشرط و الجواب في موضع نصب على الحال و التقدير عند بعضهم أي ما لعينيك في هذه الحالة تعجبا منه ، و أجابوا من كون جعل

1- ديوان المتنبي ، ص 129 .
2- ديوان أبي تمام ، ج2 ، ص 37 .
3- سورة غافر ، الآية 75 .
4- الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي ، أبو عبادة البحتري (ت284 هـ) ، شاعر كبير له " ديوان شعر" و كتاب " الحماسة " الأعلام ، ج8 ، ص 121 .
5- ديوان البحتري ، ج1 ، ص 346 ، و فيه " ألما " بدل " هل لما " .
6- سورة التوبة ، الآية 80 .
7- كنز العمال : 37147 .

الشرط و الجزاء حالتين لأن إن تخلصها للإستقبال و الحال ينفى في الإستقبال بأنها حال مقدرة نحو مررت برجل مع صقر صائد به غدا أي مقدر أن الصيد غدا .
قلت إنما حملهم على جعل الحال مقدرة في المثال و ردوه منصوبا و لا وجه له إلا أن يكون حالا فأولوا ذكر التأويل أو خبر كان مضمرة لكن رأي كوفي ، على أن بعض المحققين رد المقدرة إلى المقارنة ، وأن معنى صائدا به غدا أي ناويا إلا أن الصيد به غدا وأما الجمل فلا ضرورة إلى ادعاء ذلك فيها ، على أنهم جعلوا من شرط وقوع الجملة حالا أن لا تكون مفتتحة بدليل استقبال فلو جوزنا مثل ذلك لها لبطل هذا الضابط فالأولى في إعرابها ما قدمناه .
و إعراب الشطر الثاني كإعراب الأول ، إلا أن يهم فعل مضارع مجزوم و كسرت ميمه لالتقائه قبل كسره ساكنا و هو حرف الروي مع الباء التي بنا عليها القصيدة و سمي حرف الوصل ، و تقدم أن همزة أيحسب للإنكار ، و يحسب بمعنى يظن ، و أن الحب منكتم أن و معمولها في موضع مفعول يحسب .
و ما في قوله ما بين زائدة و بين ظرف زمان إن أضيف إلى الزمان و مكان إن أضيف إلى المكان ، و العامل فيه منكتم ، و يحتمل على بعد و تكلف كون موصولة أو نكرة موصوفة و هي أيضا صفة لموصوف محذوف تقديره على الأول في المكان الذي ثبت ، و على الثاني في مكان الثابت ، و بين صلة على الأول و صفة على الثاني ، و منه صفة بمنسجم و ضميره يعود على الصب ، و من لابتداء الغاية ، ويحتمل تعلق منه بمنسجم .

الإشارات :

و تقدم في قوله أمن تذكر جيران ، أن الإشارة إلى الحض على البكاء و استدامته لطي العيب عنا فيما يراد منا من أمور الآخرة ، و بلا شك أن الذي لا يبكي إلى الآخرة هو المستغرق في أحوال الدنيا المغرق في بحارها .
فكان المعنى في البيتين الأولين هكذا ينبغي أن يكون حال التحرير أن يكون بكاؤه حنينا إلى الجنة التي هي ذو سلم ، أو خوفا من النار التي هي كاظمة ، لا من يبكي لتذكر جيران من أهل الدنيا أو هبوب ريح من تلقاء ديارهم ، أو يصرف همته إلى ظاهر زخرف الدنيا و بهاء رونقها و لذيذ جنى ثمرها ، و قد سكرت أبصار قلوب أُمَّالِها عن النظر إلى قبيح عيوب أفعالها ، فهم في ملاذها منغمسون و في هلكة فتنتها متورطون ، مع علمهم بسوء عواقب من خطبها و تجرع مرارة شربها وسرعة استرجاعها][1] / ما وهبت و إخراجها مما ملكت **[و85]** فليس ينجو منها إلا من حذرها ، ولا يهلك فيها إلا من أمنها ، و كذلك صورة الهوى فهما في الفتنة سواء .
فإن كابر هذا الناظم مكابر ، أو نافر وعظه منافر ، زعما منه أن حاله على الجادة المستقيمة و بكاءه على الطريقة القويمة ، ناسب أن يبادر بقوله له فما لعينيك ، أي فما لهما تطاولان إلى رؤية الدنيا و زخرفها ، و لا يعن لك شيء من قلامة ظفر من خيفتها إلا وثبت عليه ، و الله سبحانه و تعالى يقول لأكرم خلقه عليه : ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾[2] ، و ما لهما إن قلت لهما اكففا عن نظركما ، و تعلق بالكما بما يطغي

1- ورقة ساقطة من الأصل (أ) ، المثبت من (ب) .
2- سورة طه ، الآيتان 131 / 132 .

لم يزدهما ذلك إلا سرعة هيمان إلى الدخول فيهما كما يهمي الماء إلى مركزه ، و ما لقـلبك الذي هو أصل جسمك و صلاحه صلاحه و فساده فساده ، إذا قلت له استفق من تذهلك بحب الدنيا و اعقل ما كلفت به من الإشتغال بأمور آخرتك لم يزده ذلك إلا هيمانا .
ثم قال إنكارا لإنكار أيحسب العاشق لدنياه المستهام بها أن حبه لها ينكتم له بـين إرسـال[1] عينيه إليها واضطرام قلبه عليها لا يكون ذلك .
و يحتمل أن يكون إشارة إلى ما هو أرفع من ذلك ، و هو أن من حاله البكاء من أمور أخراه أو مما تمكن من قلبه من حب مولاه حقه أن يكتم ذلك و لا يفشيه ، و إن كان المطلع عليـه يذيع ذلك و يستوشيه[2] ، و يقول له فما لعينيك إلى آخر ما يقوله ، يحكيه كما يفعـل أهـل الحب .
و يحتمل على هذا النمط ما تقدم أن يكون قوله أيحسب إلى آخره ، إشارة إلى أن من أحـب الجنة و هي التي تنسجم أنهارها ، و من خاف من النار التي تضطرم نيرانها ، لا يخفي حبه بين تذكر حصول ما يرجـو و النجاة مما يخاف ، فمنسجم راجع لذي سـلم ، و مـضطرم لكاظمة ، فهو من اللف و النشر المرتب فيلحق بترجمة البديع .
و الكلام في الإشارات لا تفي به العبارات ، فيكفي الإقتصار على أدناها إذ لا سـبيل إلـى منتهاها ، وإنما سميت الإشارة إشارة لأنها معنى يغني عن العبارة ، و في الإشارات ما يغني عن الكلم .

1- (ب) : منكتم له بين إرساله .
2- سقطت من (ب) .

د- مصادر التحقيق و الدراسة و مراجعهما

- القرآن الكريم .

أ- المخطوطات :

1. ابن مرزوق الحفيد : المفاتيح المرزوقية لحل الأقفال و استخراج خبايا الخزرجية مخطوط ذو رقم (489) ، مكتبة جامعة الرياض ، المملكة السعودية .
2. البوصيري محمد بن سعيد : قصيدة البردة ، مخطوط ذو رقم (7590) ، مكتبة جامعة الرياض ، المملكة السعودية .

ب- الكتب :

3. ابن الأثير ضياء الدين : المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر ، تح : محيي الــدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت 1995 .
4. الأصفهاني أبو الفرج : الأغاني ، دار الكتب العلمية ، ط2 ، بيروت 1992 .
5. الأعشى : ديوان الأعشى الكبير ، شرح: مهدي محمد ناصر، دار الكتب العلمية ، ط3 بيروت 2003 .
6. الأقيشر الأسدي : ديوان الأقيشر الأسدي ، صنعة محمد علي دقة ، دار صـــادر، ط1 بيروت 1997 .
7. امرؤ القيس: ديوان امرئ القيس ، شرح عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة ، ط2 بيروت 2004 .
8. أوس بن حجر : ديوان أوس بن حجر ، تح : محمد يوسف نجـــم ، دار صـــادر، ط3 بيروت 1979 .
9. إيميل بديع يعقوب: المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، دار الكتب العلمية ، ط1 بيروت 1996 .
10. البحتري: ديوان البحتري، شرح: يوسف الشيخ، دار الكتب العلمية، بيروت 2000
11. البخاري : الجامع الصحيح ، دار الكتاب المصري ، ط1 ، القاهرة 1986 .

12. بشار بن برد : ديوان بشار بن برد ، شرح: مهدي محمد ناصر ، دار الكتب العلمية ، بيروت (د.ت) .
13. بشر بن أبي خازم : ديوان بشر بن أبي خازم ، تح: عزة حسن ، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم بوزارة الثقافة السورية ، دمشق 1960 .
14. البغدادي اسماعيل باشا : هدية العارفين أسماء المؤلفين و آثار المصنفين ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت (د.ت) .
15. بكر بن النطاح ، صنعة حاتم الضامن ، مطبوعات الجمعية الإسلامية للخدمات الثقافية ، بغداد 1975 .
16. البوصيري شرف الدين :
1- ديوان البوصيري ، شرح و ضبط و تقديم: عمر الطباع ، دار الأرقم بن أبي الأرقم ، بيروت (د.ت) .
17. 2- قصيدة البردة ، المطبعة الثعالبية ، الجزائر (د.ت) .
18. بوعزيز يحي : أعلام الفكر و الثقافة في الجزائر المحروسة ، دار الغرب الإسلامي ط1 ، بيروت 1995 .
19. تأبط شرا ، ديوان تأبط شرا ، عناية: عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة ، ط1 بيروت 2003 .
20. الترمذي محمد بن عيسى : سنن الترمذي ، تح: أحمد محمد شاكر ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت (د.ت) .
21. التفتازاني سعد الدين : مختصر السعد شرح تلخيص كتاب مفتاح العلوم ، تح: عبد الحميد هنداوي ، المكتبة العصرية ، ط1 ، بيروت 2003 .
22. التلمساني ابن مريم : البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان ، تح : محمد بن أبي شنب ، المطبعة الثعالبية ، الجزائر 1908 .
23. أبو تمام : ديوان أبي تمام ، دار صادر ، ط1 ، بيروت 1997 .
24. الثعالبي أبو منصور : ديوان الثعالبي ، تح: محمود عبد الله الجادر ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ط1 ، بغداد 1990 .
25. جرير : ديوان جرير، دار بيروت ، بيروت 1986 .

26. جميل بن معمر : ديوان جميل بثينة ، دار بيروت ، بيروت 1982 .
27. الجوهري اسماعيل بن حماد : تاج اللغة و صحاح العربية ، تح : أحمد عطار ، دار العلم للملايين ، ط 4 ، بيروت 1990.
28. الجيلالي عبد الرحمن : تاريخ الجزائر العام ، دار الحياة ، بيروت 1965 .
29. حاتم الطائي : ديوان شعر حاتم بن عبد الله الطائي و أخباره ، تح: عادل سليمان جمال ، مطبعة المدني ، القاهرة (د.ت) .
30. الحاكم أبو عبد الله : المستدرك على الصحيحين ، تح: مصطفى عبد القادر عطا دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت 1990 .
31. حسان بن ثابت : ديوان حسان بن ثابت ، شرح عبدأ مهنا ، دار الكتب العلمية ، ط2 بيروت 1994 .
32. الحفناوي أبو القاسم محمد : تعريف الخلف برجال السلف ، تح : محمد رؤوف القاسمي الحسني ، دار موفم للنشر ، الجزائر 2007 .
33. حميد بن ثور ، ديوان حميد بن ثور الهلالي ، تح: عبد العزيز الميمني ، الدار القومية للطباعة و النشر ، القاهرة 1965 .
34. ابن حنبل أحمد : مسند الإمام أحمد بن حنبل ، مؤسسة قرطبة ، مصر (د.ت) .
35. ابن خلكان أحمد بن محمد : وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان ، تح: إحسان عباس دار صادر ، ط1 ، بيروت 1994 .
36. الخنساء تماضر بنت عمرو: ديوان الخنساء، شرح حمدو طماس ، دار المعرفة ، ط2 بيروت 2004 .
37. الداية محمد رضوان : تاريخ النقد الأدبي في الأندلس ، مؤسسة الرسالة ، ط 2 بيروت 1993 .
38. ابن دريد: ديوان ابن دريد ، تح: عمر ابن سالم، الدار التونسية للنشر، تونس 1973
39. دريد بن الصمة : ديوان دريد بن الصمة ، تح: عمر عبد الرسول ، دار المعارف القاهرة 1975 .
40. ديوان المروءة ، شرح: يوسف شكري فرحات ، دار الجيل ، ط1 ، بيروت 1992 .
41. ديوان الهذليين ، دار الكتب المصرية ، ط2 ، القاهرة 1995 .

42. الذهبي محمد بن أحمد : سير أعلام النبلاء ، مؤسسة الرسالة ، بيروت 2001 .
43. الراعي النميري : ديوان الراعي النميري ، شرح: واضح الصمد ، دار الجيل ، ط1 بيروت 1995 .
44. ذو الرمة : ديوان ذي الرمة ، شرح: الخطيب التبريزي ، تقديم: مجيد طـــراد ، دار الكتاب العربي ، ط2 ، بيروت 1996.
45. ابن رشيق القيرواني:
1- ديوان ابن رشيق القيرواني ، شرح : صلاح الدين الهواري دار الجيل ، بيروت (د.ت) .
46. 2- العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده ، تح: محمد محـــي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، ط5 ، بيروت 1981 .
47. ابن الرومي : ديوان ابن الرومي ، شرح: أحمد حسن بسج ، دار الكتب العلمية ، ط3 بيروت 2002 .
48. دار الكتب المصرية ، ديوان الهذليين ، دار الكتب المصرية ، ط2 ، القاهرة 1995 .
49. دار المشرق : المنجد في اللغة و الأعلام ، دار المشرق ، ط23 ، بيروت 1978 .
50. الزبيدي مرتضى : تاج العروس من جواهر القاموس ، دار الهداية ، مصر (د.ت)
51. الزركلي خير الدين : الأعلام ، دار العلم للملايين ، ط 5 ، بيروت 1980 .
52. الزمخشري أبو القاسم بن عمر : الكشاف عن حقـــائق غـــوامض التنزيـــل وعيـــون الأقاويل فى وجوه التأويل ، دار الكتاب العربي ، بيروت 1986 .
53. زهيـــر بن أبي سلمى : ديوان زهير بن أبي سلمى ، شرح علي فاعور ، دار الكتب العلمية ، ط3 ، بيروت 2003 .
54. ابن زيدون : ديوان ابن زيدون ، دراسة و تهذيب: عبد الله سندة ، دار المعرفة ، ط1 بيروت 2005 .
55. سابق البربري : شعر سابق بن عبد الله البربري ، تح: بدر ضيف ، دار الوفاء ، ط1 الإسكندرية 2004 .
56. السخاوي شمس الدين: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، دار الحياة ، بيروت(د.ت)

57. سعـــد الله أبو القـــاسم : تاريـــخ الجزائر الثقـــافي ، دار الغـــرب الإســـلامي ، ط1 بيروت 1998 .
58. السكاكي أبو يعقوب يوسف، مفتاح العلوم ، تح: أكرم عثمان يوســـف، دار الرســـالة ط1 ، بغداد 1982 .
59. الشافعي محمد : ديوان الشافعي ، دار الكتب العلمية ، بيروت (د.ت) .
60. الشريشي أبو العباس أحمد القيسي : شرح مقامات الحريـــري البـــصري ، المكتبـــة الثقافية ، بيروت (د.ت) .
61. الشماخ بن ضرار: ديوان الشماخ بن ضرار، شرح: قدري مايو، دار الكتاب العربي بيروت 2004 .
62. أبو طالب بن عبد المطلب : ديوان أبي طالب عم النبي (ص)، شرح: محمد التونجي دار الكتاب العربي ، ط1 ، بيروت 1994 .
63. الطرابلسي أمجد : تقديم لكتاب المنزع البديع في تجنيس أساليب البـــديع للـــسجلماسي تح: علال الغازي ، مكتبة المعارف ، ط 1 ، الرباط 1980 .
64. طرفة بن العبد : ديوان طرفة بن العبد ، شرح: محمد مهـــدي ناصـــر ، دار الكتـــب العلمية ، ط3 ، بيروت 2002 .
65. عبيد بن الأبرص ، ديوان عبيد بن الأبرص ، شرح أحمد عدرة ، دار الكتاب العربي ط1 ، بيروت 1994 .
66. ابن عبد ربه : ديوان ابن عبد ربه الأندلسي ، تح : محمـــد التـــونجي ، دار الكتـــاب العربي ، ط1 ، بيروت 1993 .
67. أبو العتاهية : ديوان أبي العتاهية ، دار بيروت ، بيروت 1986 .
68. العجاج ، ديوان العجاج ، تح: عزة حسن ، دار الشرق العربي ، بيروت 1995 .
69. العسقـــلاني ابن حجـــر : فتح الباري شرح صـــحيح البخـــاري ، دار الفكـــر ، ط1 دمشق 1997 .
70. أبو هلال العسكري: جمهرة الأمثال، ضبط أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية ، ط1 بيروت 1988 .

71. ابن عطاء الله السكندري : الحكم ، تح: أحمد عز الدين خلف ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة 1996 .
72. ابن عطية الأندلسي : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، دار ابن حزم بيروت (د.ت) .
73. علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين : كنز العمال في سنن الأقوال و الأفعال مؤسسة الرسالة ، بيروت (د.ت) .
74. علقمة بن عبدة : ديوان علقمة بن عبدة الفحل شرح الأعلم الشنتمري ، تقديم حنا نصر الحتي ، دار الكتاب العربي ، ط1 ، بيروت 1993 .
75. علي بن جبلة : شعر علي بن جبلة ، تح : حسين عطوان ، دار المعارف ، ط3 القاهرة 1982 .
76. عمر بن أبي ربيعة : ديوان عمر بن أبي ربيعة ، تقديم : فايز محمد ، دار الكتاب العربي ، ط2 ، بيروت 1996 .
77. أبو عمران الشيخ و آخرون : معجم مشاهير المغاربة ، منشورات دحلب الجزائر 2000 .
78. عمرو بن كلثوم التغلبي : ديوان عمرو بن كلثوم ، تح: إيميل بديع يعقوب ، دار الكتاب العربي ، ط2 ، بيروت 1996 .
79. العمري محمد : مقدمة تحقيق المسلك السهل في شرح توشيح ابن سهل للإفراني طبعة وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية ، المغرب 1997 .
80. عياض أبو الفضل : الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، دار الفكر ، بيروت 1988 .
81. الغزالي أبو حامد : إحياء علوم الدين ، دار الفكر ، ط1 ، بيروت 1975 .
82. الغزالي أبو حامد : المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى ، تح: بسام الجابي ، الجفان و الجابي للنشر ، ط1 ، قبرص 1987 .
83. الفرزدق : ديوان الفرزدق ، شرح : علي فاعور ، دار الكتب العلمية ، ط1 بيروت 1987 .
84. القحيف العقيلي : شعر القحيف العقيلي ، تح: صالح الضامن ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، الجزء 3 المجلد 37 .

85. القرطاجني حازم : منهاج البلغاء و سراج الأدباء ، تح : محمد الحبيب بن الخوجة دار الغرب الإسلامي ، ط3 ، بيروت 1986 .
86. القــزويني جلال الدين : الإيضاح في علوم البلاغة ، تح : عبد المنعم خفاجي ، دار الجيل ، ط3 ، بيروت (د.ت) .
87. القشيري عبد الكريم : الرسالة القشرية ، تح: عبد الحليم محمود و محمود بن الشريف دار المعارف ، القاهرة 1995 .
88. قيس بن الخطيم : ديوان قيس بن الخطيم ، تح: ناصر الــدين الأســد ، دار صــادر بيروت 1967 .
89. قيس بن الملوح : ديوان قيس بن الملوح ، دار الكتب العلمية ، ط1، بيروت 1999 .
90. الكتــاني عبد الحي بن عبد الكبير : فهــرس الفهارس و الأثبات و معجم المعاجـــم والمشيخات والمسلسلات، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت1982
91. كثيّــر : ديوان كثير عزة ، شرح: إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت 1971 .
92. كحالة عمر رضا : معجم المؤلفين ، مؤسسة الرسالة ، ط1 ، بيروت 1993 .
93. كشاجم: ديوان كشاجم ، تح: النبوي شعلان ، مكتبة الخانجي ، ط1 ، القاهرة 1997 .
94. كعب بن زهير : ديوان كعب بن زهير ، تح: علي فاعور ، دار الكتب العلمية ، ط1 بيروت 1987 .
95. الكميت: ديوان الكميت ، تح: محمد نبيل طريفي ، دار صادر، ط1 ، بيروت 2000 .
96. لبيــد بن ربيعة : ديوان لبيــد بن ربيعة ، عناية حمدو طماس ، دار المعرفــة ، ط1 بيروت 2004 .
97. مالك بن أنس : موطأ الإمام مالك ، تح: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التــراث العربي ، مصر (د.ت) .
98. المبرد : الكامل في اللغة و الأدب ، المكتبة العصرية ، بيروت 2004 .
99. المتنبي أبو الطيب : ديوان المتنبي ، دار بيروت ، بيروت 1983 .
100. محبي محمد أمين : خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ، مكتبــة خيــاط بيروت 1966 .

101. مرتاض محمد : النقد الأدبي القديم في المغرب العربي : منشورات إتحاد الكتـــاب العرب ، دمشق 2000 .

102. المرتضي الشريف : ديوان الشريف المرتضي، شرح محمد التونجي، دار الجيــل ط1 ، بيروت 1997 .

103. المرزوقي أبو علي ، شرح ديـــوان الحماسة ج1 ، تح: عبد السلام هارون و أحمد أمين ، لجنة التأليف و الترجمة و النشر ، ط2 ، القاهرة 1965 .

104. مركز بحوث : موسوعة الشعر العربي ، مركز بحوث اللغة العربيـــة بجامعـــة أم القرى ، ط1 ، السعودية 1998 .

105. مسلم بن الحجاج : الجامع الصحيح ، تح: محمد فؤاد عبـــد البـــاقي ، دار إحيـــاء التراث العربي ، بيروت (د.ت) .

106. ابن المعتز : ديوان ابن المعتز ، دار الكتاب العربي ، بيروت 2004 .

107. المعري أبو العلاء : ديوان سقط الزند ، دار صادر و دار بيروت ، بيروت 1957

108. المفضل الضبي ، المفضليات ، تح: عبد السلام هارون و أحمد شاكر، دار المعارف ط6 ، القاهرة 1989 .

109. ابن منظور محمد : لسان العرب ، دار صادر ، ط1 ، بيروت (د.ت) .

110. مهيار الديلمي: ديوان مهيار الديلمي ، دار الكتب المصرية ، ط1 ، القاهرة (د.ت) .

111. عمرو بن معـــد يكرب : شعر عمرو بن معدي كرب ، جمع: مـــراد الطرابيـــشي مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، ط2 ، دمشق 1985 .

112. ابن مقبل : ديوان ابن مقبل ، تح: عزة حسن ، دار الشرق العربي ، بيروت 1995

113. المقري أحمد بن محمد : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب و ذكر وزيرهـــا لسان الدين بن الخطيب ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1995 .

114. معـــن بن الأوس : ديوان معن بن الأوس المزني ، صنعة حاتم الضامن و نوري حمودي ، طبعة دار الجاحظ ، بغداد 1977 .

115. النابغة الجعـــدي : ديوان النابغة الجعدي ، تح : واضح الصمد ، دار صادر ، ط1 بيروت 1998 .

116. النابغة الذبياني : ديوان النابغة الذبياني ، تح: أبو الفضل إبراهيم ، دار المعـــارف ط2 ، القاهرة (د.ت) .
117. النفري محمد بن عبد الجبار : كتاب المواقف والمخاطبات ، تح: آرثـــر أربـــري تقديم: عبد القادر محمود ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 1985 .
118. أبو نواس : ديوان أبي نواس ، تح: سليم قهوجي ، دار الجيل ، بيروت 2003 .
119. النووي يحي بن شرف : شرح النووي على مسلم ، دار إحياء التراث العربي ، ط2 بيروت 1972 .
120. هـــارون عبد السلام محمد : تحقيـــق النصوص و نشـــرها ، مكتبة الخانجي ، ط7 القاهرة 1998 .
121. الوراق محمود : ديوان محمود الوراق ، تح: وليد قصاب ، مؤسسة الفنـــون ، ط1 الإمارات العربية 1991.
122. يزيد بن الطثرية : شعر يزيد بن الطثرية ، تح: صالح الضامن ، مطبعـــة أســـعد بغداد (د.ت) .
123. أبو يعلى أحمد : مسند أبي يعلى ، تح: حسين سليم أسد ، دار المأمون للتراث ، ط1 دمشق 1984 .

ج- المجلات و الدوريات :

124. مريبعي الشريف : توثـــيق رواية الشعر في النقد العربي القديم ، مقالة فـــي مجلـــة التراث العربي ، العدد 98 ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق 2005.

هــ - فهرس المحتويــات